السياق وأثره فى توضيح المعنى عند الإمام عبد الحميد الفراهى في تفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان

إعـــداد

د.سوسن حسانين الهدهد

أستاذ مساعد أصول اللغة

في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالقاهرة

السياق وأثره فى توضيح المعنى عند الإمام عبد الحميد الفراهى في تفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان

سوســـــن حسانـــــين الهدهـــــد

قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر

البريد الالكترونى: drswsanalhodhod@azhar.edu.eg

المستخلص

لا شك أن مراعاة السياق بنوعيه اللغوى (الداخلى) وغير اللغوى (الخارجى) يساعد على فهم المعنى المراد من النص فهما جيدا؛ لأن العلم بخلفيات النص وملابساته والظروف المحيطة به وأسباب النزول ينفى احتمالية غير المراد، ويساعد على التأويل الصحيح.

ويهدف البحث إلى الوقوف على أثر السياق بنوعيه اللغوى وغير اللغوى فى فهم المراد من كلام الله عز وجل فى تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان للإمام عبد الحميد الفراهى

وقد التزم البحث المنهج الوصفى التحليلى

ومن أهم النتائج التى توصَّل البحث إليها:

١- اعتمد الإمام الفراهى فى تفسيره للقرآن الكريم على السياق بنوعيه اللغوى والخارجى.

٢- جاء اهتمام الإمام الفراهى بالسياق اللغوى بصورة كبيرة وهذا جزء من منهجه الذى يتمثل فى تأويل الفرقان بالفرقان.

٣- كانت للفراهى انفرادات مُوَفَّقة فى توضيح أثر السياق فى فهم المراد من كتاب الله عز وجل.

الكلمات المفتاحية: عبد الحميد الفراهى – السياق – الدلالة – تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان.

Context and its Significance on Clarifying Meaning in Imam Abdul Hamid *Farahi's Exegesis of the Structure of the Qur'an and Interpreting the Qur'an by the Qur'an*

Sawsan Hassaneen Al-Hodhod
Department of the Science of Language, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Women's branch, Al-Azhar University in Cairo.
Email: drswsanalhodhod@azhar.edu.eg

Abstract

No doubt that taking into consideration the context either linguistic or extra-linguistic context assists in proper understanding of the intended meaning of the Quranic text; because studying the background, circumstances, occasions of revelation of the Quranic text rules out the possibility of misinterpretation and helps in correct exegesis. The present study aims at investigating the significance of the linguistic and extra-linguistic context in understanding the intended meaning of Allah's words in Imam Abdul Hamid *Farahi's exegesis of the structure of the Qur'an and interpreting the Qur'an by the Qur'an. It adopts the analytical and descriptive approach. The most important conclusions include the following:*

1- Imam *Farahi relies on* the linguistic and extra-linguistic context in his exegesis of the Holy Quran.
2- Imam Farahi shows considerable interest in the linguistic context as this is a part of his approach in *interpreting the Qur'an by the Qur'an.*
3- Imam Farahi offers pioneering insights into clarifying the significance of context in understanding the intended meaning of the Holy Quran.

Keywords: Abdul Hamid *Farahi - context- meaning- exegesis of the structure of the Qur'an and interpreting the Qur'an by the Qur'an*

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

كان لعلماء العربية فضل السبق فى الاعتراف بفكرة السياق وأهميته فى فهم المراد، فقد أشار الإمام الشافعى- رحمه الله- إلى ذلك فى باب من أبواب رسالته وهو: " باب الصنف الذى يبين سياقه معناه" (١) ، ونقل الإمام الزركشى عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام قوله: "السياق يرشد إلى تبيين المجملات، وترجيح المُحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال.... "(٢) وإهمال السياق يؤدى إلى الوقوع فى الغلط والمغالطة، قال الإمام ابن القيم الجوزية: "السياق يرشد إلى تبيين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المُطلق، وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط فى نظره، وغالط فى مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير"(٣)

---

(١) الرسالة للإمام الشافعى ص٦٢، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ، ١٩٣٨م.

(٢) البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى (٥٢/٦)،مراجعة عبد القادر عبد الله العانى، دار الصفوة للطبع والنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٩٩٢.

(٣) بدائع الفوائد،ابن القيم الجوزية (٤/ ١٣١٤)، تحقيق على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

كما أشار ابن جنى إلى أهمية سياق الحال فى فهم المراد[١]

ثم يأتى الإمام عبد الحميد الفراهى العالم اللغوى الهندى(ت ١٣٤٩هـ) ليوضح أثر السياق بنوعيه اللغوى وغير اللغوى فى فهم المراد من كلام الله عز وجل فى تفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ومما لا شك فيه أن مراعاة السياق بنوعيه اللغوى(الداخلى) وغير اللغوى (الخارجى) يساعد فى فهم المعنى المراد فهما جيدا؛ لأن العلم بخلفيات النص والظروف المحيطة به وأسباب النزول ينفى احتمالية غير المراد، ويساعد على التأويل الصحيح، وهذا ما راعاه الفراهى فى تفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان[٢] الذى ركز فيه على تفسير القرآن بالقرآن وجعله الأصل عنده، ثم الرجوع إلى السنة النبوية المشرفة ثم الرجوع إلى أقوال الصحابة، فضلا عن مراعاة أساليب كلام العرب واستعمالاتهم، وأسباب النزول.

وكان للفراهى وَقَفَات مُوَفَّقَة فى توضيح أثر السياق فى فهم المراد من كلام الله عز وجل تُنِمُّ عن حِسٍ لغوى مُسْتَوْعِبٌ لمقتضيات الخطاب التى تتطلب النظر فى كل العناصر اللغوية وغير اللغوية التى تحيط بالنص.

ومما دفعنى إلى دراسة هذا الموضوع هو عدم وجود بحث أو رسالة تناولت أثر السياق فى توضيح المعنى فى تفسير نظام القرآن وتأويل

---

(١) الخصائص، ابن جنى (٢٤٦/١، ٢٤٧)، تحقيق: محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٣، ١٩٨٦م.

(٢) اقتصر فيه الإمام الفراهي علي تفسير سور: (الفاتحة- الذاريات-التحريم- القيامة -المرسلات-عبس- الشمس- التين- العصر- الفيل- الكوثر- الكافرون- اللهب).

الفرقان بالفرقان، ولا فى أى مُؤَلَّفٍ من مؤلفات الفراهى التى أشار فيها إلى أهمية السياق فى فهم المعنى المراد[١]، ولكن ما تناوَلَتْهُ الدراسات السابقة[٢] فيما يخص الإمام عبد الحميد الفراهى تمثلت فى الحديث عن حياته وجهوده فى النحو والبلاغة، فضلا عن جهوده اللغوية التى تمثلت في توضيح معاني بعض الألفاظ كالكتاب، والصلاة، والهدي[٣]

والتزم البحث المنهج الوصفى التحليلى، ويقع البحث فى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فهى لأهمية الموضوع والدافع إليه والدراسات السابقة حوله، وأما التمهيد فللتعريف بالفراهى والسياق.

المبحث الأول: السياق وأثره فى توضيح المعني المراد من الصيغ.

المبحث الثانى: السياق وأثره فى توضيح المعنى المراد من التركيب.

المبحث الثالث: السياق وأثره فى تحديد المعنى المراد من اللفظ المشترك.

المبحث الرابع: السياق وأثره فى تعيين المخاطَب.

المبحث الخامس: السياق وأثره في تخصيص المعني العام.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج التى توصل إليهاالبحث .

---

(١) على سبيل المثال: مفردات القرآن – نظام القرآن – أساليب القرآن- التكميل فى أصول التأويل.

(٢) الدراسات السابقة: نُشِرَت عدةُ أبحاث في مجلة الهند، بعنوان(عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهى –رحمه الله تعالي) مج ٦، الأعداد ١-٤ ، منها: الإمام حميد الدين الفراهى حياته، وأعماله، الشيخ أمين أحسن الإصلاحى، ترجمة محمود عاصم، وملامح التجديد في تفسير القرآن الكريم (عند عبد الحميد الفراهي)، د.محمد إقبال أحمد فرحات.

(٣) مساهمة الإمام عبد الحميد الفراهى في اللغة العربية وآدابها، أبو ذر متين أحمد، جامعة علي كره الإسلامية الهندية، رسالة دكتوراه،٢٠٠٦.

تمهيد وعنوانه: التعريف بالفراهى والسياق

يجدر بي قبل الخوض فى غمار هذا البحث أن أتحدث عن عدة أمور بإيجاز:

أولا: التعريف بالفراهى وعصره ومنهجه

أ - التعريف بالفراهى

اسمه - نسبه

عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج على الأنصارى، حميد الدين أبو أحمد الفراهى نسبة إلى قرية (فَرِيْهَا) من قرى مدرية (أعظم كره) التابعة حاليا لولاية(أُتَّرابراديش) (U.P) فى الهند ورد اسمه فى بعض المواضع (عبد الحميد) وفى مواضع أخرى (حُمَيد الدين)، ولكنه رأى أن (حُمَيد الدين) تمدُّحًا وتعظُّمًا فآثر (عبد الحميد).

ولد رحمه الله سنة ١٢٨٠هـ - ١٨٦٣م فى فَرِيْهَا من عائلة شريفة فهو ابن خال علامة الهند الشيخ شبلى النعمانى (ت ١٣٣٢هـ) [١].

نشأته وطلبه للعلم

نشأ الفراهى فى بيئة دينية، وتربى فى أسرة شغوفة بالعلوم الإسلامية والدنيوية، فقد طلب العلم منذ صغره، فحفظ القرآن الكريم صغيرا، ثم قرأ اللغة الفارسية وأجادها، واشتغل بطلب العربية وساعده ابن عمته الشيخ شبلى النعمانى الذى كان يكبره بست سنوات، فأخذ منه علوم العربية كلها من نحو وصرف ولغة وأدب ومنطق وفلسفة، ورحل إلى عدة مدن

---

(١) ينظر: مفردات القرآن (نظرات جديدة فى تفسير ألفاظ قرآنية)، الإمام حميد الدين الفراهى، مقدمة المحقق ص١٣، تحقيق د. أحمد أجمل أيوب الإصلاحى، دار الغرب الإسلامى، ط الأولى،٢٠٠٢م.

فى الهند وباكستان لطلب العلم، فسافر إلى (لكنو) فى الهند، وجلس فى حلقة الشيخ الفقيه المحدث أبى الحسنات اللكنوى(ت ١٣٠٤هـ)، ثم ارتحل إلى لاهور لطلب الأدب العربى من إمام اللغة العربية الشيخ الأديب فيض الحسن السَّهَارَنْفُورى (١٣٠٤هـ) فبرع فى الأدب العربى، وفاق أقرانه فى الشعر والإنشاء.

ثم لجأ إلى الإنجليزية وهو ابن عشرين سنة، ودخل كلية (عليكرة الإسلامية) ونال بعد سنين شهادة الليسانس (A.B) من (جامعة الله آباد)، وبهذا فقد جمع بين العلوم الدينية والعصرية [١].

أخلاقه وصفاته

وُصِفَ الإمام الفراهى – رحمه الله – بالزهد، وعلو النفس عن الدنايا، والبعد عن الرياء والتواضع، كان مثالا للتقى والورع، طويل السكوت، فكه الحديث إذا تكلم، عابدًا لله، زاهدًا فى الدنيا، بعيدا عن لذاتها [٢].

وقد كان له باع فى العلوم الإسلامية، والعربية والأدبية والثقافات العصرية، وكان متضلعا فى لغات متعددة مثل: العربية والفرنسية والإنجليزية والأوردية على السواء، وكان عالما في الفلسفة القديمة

---

(١) ينظر: مفردات القرآن ص١٦ – و(إمعان فى أقسام القرآن) لعبد الحميد الفراهى، مقدمة المحقق سليمان الندوى ص١٩– والإمام حميد الدين الفراهى حياته، وأعماله، الشيخ أمين أحسن الإصلاحى، ص١١–١٥، ترجمة محمود عاصم، مجلة الهند (عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهى)، مج٦، أعداد من ١–٤.

(٢) ينظر تفصيل ذلك فى بحث: الإمام حميد الدين الفراهى، للشيخ: شير محمد الإصلاحى ص٤١، مجلة الهند، عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهى، مج ٦، ع٥، ٢٠١٧م.

والحديثة، وفي التفسير، رائدا في اللغة والبلاغة والنحو، قال عنه: د. تقى الدين الهلالى: "فصيح فى التكلم لغاية، نادر فى علماء العرب فضلا عن علماء الهند"(١).

المناصب التى تقلدها

عُيِّن معلما للعلوم العربية بمدرسة الإسلام بكراتشى عاصمة السِّند، فدرَّس فيها سنتين، وفى عام ١٩٠٧م انتُخِب معلما للغة العربية بكلية عليكره الإسلامية، وكان بها يومئذ أستاذ اللغة العربية المستشرق الألمانى (يوسف هارويز) الذى استكمل تعلم العربية على يد الفراهى مقابل أن يعلمه العبرية، ثم عين أستاذ اللغة العربية (بجامعة الله آباد).

عمل على تأسيس جامعة تدرس العلوم الدينية بالعربية والعلوم العصرية بالأوردية، سميت الجامعة العثمانية، وقد ساهمت بدور كبير فى إقامة نهضة تعليمية فى بلاد الهند.

أسهم فى تأسيس دار المصنفين، وأصبحت أعظم مجمع علمى فى الهند نُشِرت فيه مؤلفات علمية، ثم لزم بيته، وانقطع إلى العلم، وكان قد أسس قرب قريته مدرسة عربية دينية هى (مدرسة الإصلاح) وكان من أهم أهدافها: تحسين طرق تعليم العربية، والعكوف على طلب علوم القرآن والبحث فى معانيه ونظمه (٢).

---

(١) مفردات القرآن، الفراهى، مقدمة المحقق ص٤١

(٢) المعلم عبد الحميد الفراهى، العلامة سيد سليمان الندوى، ص٣٣، مجلة الهند (عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهى)، مج٦، أعداد من ١-٤- والإمام حميد الدين الفراهى، الشيخ: شير محمد الإصلاحى ص٤٠

شيوخه

كان لبعض شيوخ الفراهى تأثير كبير على شخصيته العلمية لا سيما ابن عمته الشيخ شبلى النعمان(ت ١٣٣٢هـ)، والشيخ فيض الحسن السَّهَارَنْفُورى(١٣٠٤هـ) والمحدث الفقيه الشيخ عبد الحى اللَّكْنَوِى (ت ١٣٠٤هـ)، والشيخ نعمة الله اللكنونى (ت ١٣١٢هـ) [١].

تلاميذه

ممن حضروا مجالس الفراهى، وتأثروا به، واستفادوا من دروسه ومحاضراته فى تفسير القرآن وغيره: العلامة أبو الكلام آزاد (ت ١٣٧٧ هـ)، والعلامة: السيد سليمان الندوى (ت ١٣٧٣هـ)، والأستاذ عبد الله العمادى(ت ١٣٦٦هـ)، والأستاذ عبد الماجد الدويابادى (ت ١٣٩٧هـ)، وأما تلامذته الذين قامو بنشر كتبه ومؤلفاته بعد وفاته وترجمتها إلى الأوردية، فهما صاحباه: الشيخ أختر أحسن الإصلاحى (ت ١٣٧٨هـ) والشيخ أمين أحسن الإصلاحى(ت ١٤١٨هـ) [٢].

نتاجه العلمى

يتنوع النتاج العلمى للفراهى ما بين المطبوع والمخطوط كما يلي:

القسم الأول: المطبوع، منه:

---

(١) ينظر: الإمام عبد الحميد الفراهى وجهوده فى التفسير وعلوم القرآن ص ٤١، ٤٢، ٤٣.

(٢) ينظر: الإمام عبد الحميد الفراهى وتلاميذه البارزون، د. أشفاق ظفر الإصلاحى ص٧٢- ٨٠ وما بعدها، مجلة الهند، عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهى، مج ٦، ع٥، ٢٠١٧م.

أساليب القرآن، وأسياق النحو (جزءان) بالأوردية لتعليم النحو والصرف لغير الناطقين بالعربية، وأمثال آصف الحكيم، وإمعان فى أقسام القرآن، وتحفة الإعراب قصيدة رائية فى النحو بالأوردية، والتكميل فى أصول التأويل، وجمهرة البلاغة، ودلائل النظام، والرأى الصحيح فى من هو الذبيح، وفاتحة نظام القرآن (مقدمة تفسيره)، ومفردات القرآن، نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان وهو تفسيره الكبير الذى أصبح يعرف به، ولم يكمله، ركز فى تفسيره على التماس الروابط والعلائق بين آيات القرآن الكريم، وربط بعضها ببعض

القسم الثانى: المخطوط، منه:

إحكام الأصول بأحكام الرسول صلى الله عليه وسلم فى علم أصول الفقه، الأزمان والأديان، وأسباب النزول، والإكليل في شرح الإنجيل، وأوصاف القرآن، وتزكية الروح، وتاريخ القرآن، وجمع القرآن، حكمة القرآن، وفلسفة البلاغة،وغيرها كثير[١]

وفاته:

تُوُفِّيَ رحمه الله في التاسع عشر من جمادي الثانية سنة ١٣٤٩هـ، الحادي عشر من نوفمبر سنة ١٩٣٠م إثر عملية جراحية أجراها طبيب له في بلدة (مثورا) ودفن هناك [٢].

(١)ينظر: الإمام عبد الحميد الفراهى حياته وأعماله، الشيخ أمين أحسن الإصلاحي ص ٢٦- ٣٠

(٢) ينظر: مفردات القرآن للفراهى، مقدمة المحقق ص ٣٩- والإمام عبد الحميد الفراهى حياته، وأعماله، الشيخ أمين أحسن الإصلاحى، ص ١٧.

ب- عصر الفراهى

وُلد الفراهى حين كانت الخلافة العثمانية تلفظ أنفاسها الأخيرة حتى سقطت سنة ١٩٢٤م، أما الهند التى كان يحكمها المسلمون منذ ثمانية قرون سقطت بين الاستعمار البريطانى سنة ١٨٥٨م وانتقلت إلى الحكم البريطانى الذي عاصره الفراهى حتى تُوُفِّىَ فى عهده، وقد ذاق الفراهى وغيره من العلماء مرارة هذا الحكم، وعانوا كثيرًا، إلا أنهم قاوموه بكل ما أُوتُو من وسائل مادية وعلمية.

وفى أثناء الحكم البريطانى، تفرق المسلمون، وقل الوازع الدينى مما أدى إلى انتشار التَّعصُّب المذهبى، والفُرقة بين أفراد الأمة، فانتشر الجهل، وظهرت البدع والخرافات، وضعُفت القيم الأخلاقية فى المجتمع بسبب معايشة المسلمين مع الإنجليز المستعمرين للبلاد، وفى ظل هذه الظروف كان للفراهى وأمثاله من العلماء دور فعال فى توجيه المجتمع الإسلامى إلى تعاليم الكتاب والسنة [١]

(١) ينظر: الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده فى التفسير وعلوم القرآن، د. محمد فريد راوى، ص٣٣-٣٤ ، دار الشاكر، سلانجور – ماليزيا، ط الأولى ٢٠١٥م- وللتوسع ينظر: كتاب (المسلمون فى الهند) تحت عنوان (الدور الذى قام به المسلمون فى تحرير الهند) ص ١٧٦- ١٩٨، أبو الحسن على الحسنى الندوى، دار ابن كثير، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م، وحركة التعليم الإسلامى فى الهند وتطور المنهج، محمد واضح رشيد الحسن الندوى، ص٧٩- ٩٠، ط الأولى، المجمع الإسلامى العلمى- لكنؤ، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م.

ج – منهج الفراهي

اعتمد الفراهي منهجا معينا في (تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان) تمثل في:

١– مراعاة النظم أو النظام

ركزالفراهي علي جانب مهم هو (مراعاة النظم)، ويعنى به (الوحدة الموضوعية للسورة)، فكل سورة لها موضوع معين سماه (عمود السورة) تدور عليه بأجزائها المترابطة فيما بينها ترابطا معنويا محكما [١]، وتعد نظرية النظام إحدي أهم النظريات التي اشتهر بها الإمام الفراهي، ومما لاشك فيه أن معرفة المناسبات بين الآيات مظهر من مظاهر مراعاة السياق فى الفهم والتفسير، وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها مرتبطا ببعض [٢] وفرق الفراهي بين المناسبة والنظام، قال: "والفرق بينهما أن التناسب إنما هو جزء من النظام، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئا واحدا مستقلا بنفسه، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما، فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئا واحدا، وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالهما، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها علي بعد منها... فإن عدم الاتصال بين آيات متجاورة يوجد

---

(١) الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، د. محمد يوسف الشريحي ص ٤٧١ مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج ٢٠، ع ٢، ٢٠٠٤م.

(٢) أثر السياق في فهم النص القرآني، د. عبد الرحمن بو درع، ص ٧٩ مجلة الإحياء– المملكة المغربية، ع ٢٥، يوليو ٢٠٠٧م.

كثيرًا، ومنها ما نرى فيه اقتضابا بينا، وذلك إذا كانت الآية أو جملة من الآيات متصلة بالتى على بعد منها"[1]، ثم صرح الفراهى بأن مقصده من النظام هو أن تكون السورة كلاما واحدًا، قال:" وبالجملة فمرادنا بالنظام أن تكون السورة كلاما واحدا، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة، أو بالتى قبلها أو بعدها على بعد ما، ... فكما أن الآيات ربما تكون معترضة، فكذلك ربما تكون السور معترضة وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلامًا واحدًا ذا مناسبة وترتيب فى أجزاءه من الأول إلى الآخر"[2].

وعلى هذا فمن ينظر فى الآيات على حده ولم يتأمل فى مناسبة أجزاء السورة فقد فاتَهُ فهم المراد.

٢- تفسير القرآن بالقرآن

أكد الفراهى على أن أول شئ يفسر القرآن هو القرآن نفسه وهو الأصل عنده

٣- التفسير بالحديث الشريف وأقوال الصحابة

أولى الفراهى حديث الرسولﷺ وآثار الصحابة ما أولاه الأئمَّة والمفسرون، قال: "أول شئ يفسر القرآن هو القرآن، ثم بعد ذلك فهم

(١) دلائل النظام، عبد الحميد الفراهى الهندى، المطبعة الحميدية، ط الأولى،١٣٨٨ه، ص٧٤.

(٢) السابق ص٧٥.

النبىﷺ والذين معه، ولعمرى أحب التفسير عندى ما جاء عن النبىﷺ وأصحابه "(١)

٤- الإسرائيليات

أكد الإمام الفراهى على أنه قد تسرَّب إلى كتب التفسير والحديث كثير مما رُوى عن أهل الكتاب، فقال:"وكذلك تاريخ أهل الكتاب أقرب من الأخبار المنقولة عندنا، فإن المفسرين أخذوها من أفواه العامة والذين قلَّ علمهم بالكتب التاريخية فى قصص الأنبياء وبنى إسرائيل، فالصواب أن نأخذ من كتبهم المعتبرة...فحيث يختلف عن القرآن نتركه، فإنهم كتموا الشهادة"(٢) فقد وضع الفراهى معيارا معينا فى الأخذ عن كتب أهل الكتاب، وهو ترك كل ما خالف القرآن الكريم، وقد ساعدته دراسته للديانات ومعرفته باللغة العبرانية على النقد ودراسة الأخبار الواردة عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

٥- الاستشهاد بكلام العرب

استشهد الفراهي بكلام العرب كثيرًا مع استفادته من كتب اللغة يقول: " فأما فى سائر الألفاظ وأساليب حقيقتها ومجازها فالمأخذ فيه كلام العرب القديم والقرآن نفسه، وأما كتب اللغة ... فإنها كثيرًا ما لا تأتى بجد تام، ولا تميز بين العربى القح والمولد، ولا تهديك إلى جرثومة المعنى، فلا يدرى ما الأصل وما الفرع؟ وما الحقيقة وما المجاز؟ فمن لم يمارس كلام العرب واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعانى من

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٢٣.

(٢)السابق ص٢٩

كتاب الله، ومن كلام العرب القديم الذى وصل إلينا ما هو منحول وما هو شاذ، ولكن لا يصعب التمييز بين المنحول والصحيح على الماهر الناقد، فينبغى لنا أن لا نأخذ معنى القرآن إلا مما ثبت"(١)

وعلي هذا يتضح أن الفراهي كان يستشهد على توضيح المعني المراد بالشعر خاصة الجاهلي، ورأى أن جزءًا منه منحول لكنه لا يخفى على النقاد، لذا أكد على عدم الاعتماد فى توضيح الألفاظ القرآنية إلا علي ما ثبتت .

٦- عدم الاعتداد بالمعنى الشاذ

ذهب الفراهى إلى أنه "لا يلتفت فى تفسير ألفاظ القرآن إلى المعنى الشاذ من اللغة كما قيل فى معنى التمنى أنه هو التلاوة، وما فزعوا إلى هذا المعنى الشاذ الذى لم يثبت إلا فرارًامن بعض الإشكال، وهذا أفتح لأبواب الفتنة واختلاف الأمة" (٢)

٧- التزام اللغة العربية الفصحى

التزم الإمام الفراهى اللغة الفصيحة الجزلة القوية فى كتاباته رغم أنه أعجمي، وكان يناقش آراء العلماء، ويصحح بعض المفاهيم، ويدعم كلامه بالأدلة، ويستشهد بالشعر الجاهلي ويشرحه، وبفضل عشقه للقرآن الكريم ولغته وصل إلى هذه المكانة في اللغة العربية، وخير مثال على ذلك فاتحة نظام القرآن (٣)

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٣٢.

(٢) السابق ص٣٢.

(٣) ينظر فاتحة تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٥ وما بعدها.

ثانيا: السياق (مفهومه - أنواعه) [١]

أ- مفهوم السياق

في اللغة:

لفظة السياق مأخوذة من مادة (س و ق) التي يدور معناها حول : الحَدْو والدَّفْع والتَتَابُع[٢]،

وقد ذكر الزمخشري سياق الكلام ضمن المعاني المجازية التي يستخدم فيها اللفظ [٣]

في الاصطلاح:

للسياق تعريفات عديدة، فقد ذهب أحد العلماء المحدثين إلى أن اللفظ (context) الذي يعني السياق يتكون من السابقة اللاتينية (con) بمعنى (مع) + (text) التي تعني (النسيج) في الأصل، ثم صارت تستعمل في معني النص، أي مجموعة الجمل المتراصة مكتوبة كانت أومقروءة، ثم أصبح للمصطلح بعد التركيب المعاني الآتية:

١- ما يحيط بالوحدة اللغوية المستعملة في النص

---

(١) تحدثت بإيجاز عن السياق وأنواعه لأن هناك رسائل وبحوث عديدة تناولت ذلك.

(٢) ينظر في التعريف اللغوي للسياق: مقاييس اللغة (١١٧/٣)، ابن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت - والصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): الجوهرى،(٤ / ١٤٩٩)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط الرابعة، ١٩٩٠م- ولسان العرب: ابن منظور، دار المعارف – القاهرة، مج ٣، ص ٢١٥٣، ٢١٥٤ مادة (س و ق) في المعجمات الثلاثة.

(٣) أساس البلاغة للزمخشري (١/ ٤٨٤)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط الأولي، ١٤١٩ه – ١٩٩٨م.

٢- قيود التوارد (المعجمي) التي تراعَى عند استعمال أكثر من وحدة لغوية كاستعمال كلمة الأشهب للخيل، والأملح للغنم عند إرادة التعبير عن بياض اللون.

٣- نص لغوي يتسم بسعة نسبية ويؤدي معنى متكاملا سواء أكان ذلك النص مكتوبا أم متكلما به.

٤- الأحوال والمواقف الخارجية ذات العلاقة بالكلام [١]

وقيل في تعريفه: إنه" إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغوية، ومقياس تتصل بوساطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغوية وتداولية ترعى مجموع العناصر المعرفية التي يقدمها النص للقارئ"[٢]

والتعريفان يشملان العناصر اللغوية وغير اللغوية.

ويعد (جون فيرث) رائد النظرية السياقية، حيث أكد الوظيفة الاجتماعية للغة، وصرح بأن المعني لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية ، أي وضعها في سياقات مختلفة [٣] .

ولا شك أن جذورهذه النظرية ممتدة إلى علمائنا القدامى أمثال ابن جني والجاحظ وابن قتيبة وغيرهم.

---

(١) دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، د. عبد الفتاح البركاوي ص٤٥، دار المنار – القاهرة، ط الأولى، ١٤١١ه، ١٩٩١م. بتصرف

(٢) أثر السياق في فهم النص القرآني، د. عبد الرحمن بو درع، ص ٧٣.

(٣) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص ٦٨، عالم الكتب، ط الخامسة، ١٩٩٨م.

أ- أنواع السياق

قسم فيرث السياق إلى نوعين، هما:

١- السياق الداخلي للحدث اللغوي، ويتمثل في العلاقات النحوية، والصرفية، والصوتية، والدلالية بين الكلمات داخل تركيب معين من الكلمات.

٢- السياق الخارجي وهو الذي يشكل الإطار الخارجي للحدث الكلامي، ويتمثل في السياق الاجتماعي أو سياق الحال بما يحتويه [١] .

وقد ذكر العلماءالمحدثون للسياق أنواعا كثيرة، منها:

١- السياق اللغوي وهو النص المكتوب أوالمنطوق الذي يتحدد المعني من خلاله [٢] أو هو دراسة النص من خلال علاقات ألفاظه بعضها ببعض، والأدوات المستعملة للربط بين هذه الألفاظ وما يترتب على تلك العلائق من دلالات كلية وجزئية [٣]، ويشمل عناصر أساسية تتمثل في:

أ- السياق الصوتي: ويهتم بدراسة الصوت داخل سياقه

ب- السياق الصرفي: ويهتم بدراسة المورفيمات حرة كانت أو مقيدة داخل سياق تركيبي معين[٤].

---

(١) ينظر: الكلمة دراسة دلالية ومعجمية، د. حلمي خليل ص ٢١٧، الهيئة العامة للكتاب- فرع الاسكندرية، ١٩٨٠.

(٢) علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، د. عبد الفتاح أبوالفتوح، ص ٩٠.

(٣) أثر السياق في فهم النص القرآني ص ٧٣.

(٤) ينظر: مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور ص ٣٥٥، دار الفكر- دمشق، ط الثالثة،٢٠٠٨م – وعلم اللسانيات الحديثة، د. عبد القادر عبد الجليل، ص ٥٤٢، دار الصفاء للنشر- عمان، ط ٢٠٠٨م.

ج- السياق التركيبي: ويعنى بالبنية النحوية، وعلاقات الكلمات ووظائفها، ومواقعها من الترتيب(١).

د- السياق المعجمي: ويهتم بدراسة المعني الوضعي للمفردات(٢).

٢- السياق العاطفي: وهو الذي يحدد درجة القوة والضعف في الانفعال في العاطفة مما يقتضي تأكيدا أومبالغة أواعتدالا، مثل استخدام كلمة الحب أو العشق أو الهوي وإن كانت تدور في فلك واحد إلا أن استخدام كل كلمة يحتمه موقف معين(٣).

٣- سياق الموقف ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، ويدل سياق الموقف على العلاقات الزمانية والمكانية التي يجري فيها الكلام، وقد عبر البلاغيون عن هذا السياق بمصطلح (المقام)، وغدت كلمتهم: (لكل مقام مقال) مثالا مشهورا(٤) ، ويشمل كل الأحوال والظروف والملابسات التي تصاحب النص، وتحيط به نطقا وكتابة(٥)، ويبدو في أقوال الصحابة في التفسير لأنهم شاهدوا القرائن والأحوال ، وتتمثل هذه القرائن في أسباب النزول والمكي والمدني.

---

(١) السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، د. خليل خلف بشير العامري ص ٤٢، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج ٩، ع ٢، ٢٠١٠م.

(٢) دلالة السياق، د. ردة الله الطلخي، (١/ ٤٢)، رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، ١٤١٨ه.

(٣) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص ٧٠.

(٤) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص ٧١- ومبادئ اللسانيات ص ٢٥٧.

(٥) علم اللغة د. محمود السعران ص ٣٣٨، ٣٣٩.

٤- السياق الثقافي: يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي على أساسه يكون اختيار الكلمة المناسبة في التركيب المناسب [١].

وزاد بعضهم السياق التاريخى الذى يهتم برصد الحقائق التاريخية ذات الصلة الوثيقة بحياة العرب، فقد ذكر القرآن وقائع وأخبار خارجة عن محيطهم، فلم يخاطبهم إلا بما يفهمونه ويعهدونه لا سيما أن للعرب أسفارًا واتصالات وتجارات تربطهم بالعالم الخارجى، ففى هذا السياق لابد من الإحاطة بالجوانب التاريخية والوقوف على تفاصيلها الحقيقية [٢]

ويرى بعض العلماء أن للسياق التاريخى معنيين: عام وخاص، فالعام هو سياق الأحداث القديمة والمعاصرة لزمن التنزيل، والخاص هو أسباب النزول [٣]

وكل هذه الأقسام تندرج تحت قسمين:

١- السياق الداخلى أو اللغوى، وهو المستفاد من عناصر مقالية داخل النص.

٢- السياق الخارجى أو غير اللغوى، وهو المستفاد من العناصر غير اللغوية التى تصاحب النص [٤]

---

(١) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ص ٧٠ وما بعدها- وعلم اللغة الاجتماعي لهدسون، ص ٣٨، ترجمة محمد عبد الغني عياد، دار الشئون الثقافية – بغداد، ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب أبو صفية الحارثى ص١١٣، ط الأولى، عمان- الأردن، ١٩٨٩م- والسياق وأنماطه وتطبيقاته فى التعبير القرآنى ص٥٠.

(٣) ينظر: أثر السياق فى فهم النص القرآنى ص٧٣.

(٤) ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ص٣٠.

وهناك نوع آخر من السياق يسمى بالسياق الذهنى أو الصفرى [١]، وفيه تكون المعانى المحتملة كلها مرادة للقائل، ولا توجد قرينة ترجح أحد هذه المعانى.

ثالثا: أنواع السياق عند الفراهى

عنى الشيخ الفراهى بالسياق وأنواعه عناية كبيرة في تفسيره: (نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان)، وقد صرح بذلك في قوله:" ثم نرجع إلي سياق الكلام وغايته ، فنأخذ بعض المعاني ونترك البواقي" [٢]، وجاءت أنماط السياق عنده على النحو التالى:

١- السياق اللغوى

أوضح الفراهى أن أول شئ اعتمد عليه فى تفسير القرآن هو القرآن نفسه، قال: "أول شئ يفسر القرآن هو القرآن نفسه"[٣]

ويسمى السياق اللغوى بالسياق المقالى أو اللفظى وهو نوعان:

النوع الأول: السياق المقالى الخاص أو الجزئى ويقصد به النصوص السابقة أو اللاحقة للنص المراد بيانه، أو جملة النصوص المتراصة مع هذا النص [٤]، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ۝﴾ [الذاريات: ٥]

---

(١) ينظر: دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث ص١٧٢، ١٧٣ – والمشترك الأسلوبي في الخبر والاستخبار فى ضوء ما ورد في القرآن – دراسة تحليلية، ص٩، سوسن حسانين الهدهد، رسالة دكتوراه، مخطوط في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، فرع البنات بالقاهرة- جامعة الأزهر،٢٠٠٩م.

(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٦٥.

(٣) السابق ص ٢٣.

(٤) السياق عند الأصوليين – المصطلح والمفهوم، د. فاطمة بو سلامة، ص٤٧، مجلة الإحياء، ع٢٥، يوليو٢٠٠٧م.

الموعود فى الآية البعث، بدلالة السياق اللغوى الجزئى المتمثل فى الآية اللاحقة، قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات: ٦] لأن الجزاء هو المقصود من البعث بعد الموت(١).

النوع الثانى: السياق المقالى العام أو الكلى ويقصد به النصوص من القرآن الكريم من مواضع أخرى غير المراد بيانها، نحو قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧] المُنْعَم عليهم فى آية الفاتحة هم: النبى، والصديق، والشهيد، والصالح، بدلالة السياق اللغوى الكلى الذى يتمثل فى قوله تعالى- فى سورة النساء- : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩] (٢).

٢- السياق الخارجى

راعى الفراهى السياق الخارجى فى الأنماط الآتية:

أ- تفسير القرآن بالسنة النبوية الشريفة

أوضح الفراهى أن أول شئ يفسر به القرآن هو القرآن نفسه ثم السنة النبوية، قال:" أن أول شئ يفسر القرآن هو القرآن نفسه، ثم بعد ذلك فهم النبيﷺ والذين معه، ولعمرى أحب التفسير عندى ما جاء من النبيﷺ وأصحابه – رضى الله عنهم"(٣)

(١) ينظر تفصيل هذا الموضع ص ٤٣ وما بعدها من البحث.
(٢) ينظر تفصيل هذا الموضع ص ٤٠ وما بعدها من البحث.
(٣) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٢٣.

مثاله: ما أخرجه الشيخان عن أبى ذر رضى الله عنه قال: سألتُ رسُولَ اللهﷺ عن قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨﴾ [يس: ٣٨] قال: مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ، وأخرجا عنه قال: كُنْتُ مَعَ النبى ﷺ فى المَسْجِدِ عنْد غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَقَال يا أبا ذر- رضى الله عنه- : أتَدْرِى أيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْس، قلتُ: اللهُ ورسُولُه أعلم، قال: فإنَّها تَذْهَبُ حتى تسْجُدَ تحْتَ العَرْشِ، فذلك قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ..... ٣٨﴾ [يس: ٣٨] (١).

ب- أسباب النزول

اهتم الفراهى بأسباب النزول، وأوضح أهميتها فى فهم المراد من النص، وأوضح أن المراد من سبب النزول هو"شأن الناس وأمرهم الذى كان محلا للكلام، فما من سورة إلا ولها أمر أو أمور جعلتها نصب العين، وذلك تحت عمود السورة، فلك أن تلتمس شأن النزول من نفس السورة فإن الكلام لابد أن يكون مطابقا لموضعه ... فإذا كان سوق الكلام لموضوع تناسب هذا الكلام والموضوع ..... وما جاء فى الآثار أن كذا وكذا من الأمور كان موجودا حين نزول السورة، لكى يعلم أن الآيات كانت لها دواع ومواقع"(٢).

(١) صحيح البخارى- كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ..... ٣٨﴾ حديث رقم ٤٨٠٢ ، ٤٨٠٣ -وينظر: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٧٠

(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٢٥.

مثاله: أشار الفراهى إلى سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤](١) قال: "كان بين أزواج النبىﷺ أُنسٌ ونُصح لا سيما بين أمتى المؤمنين حفصة وعائشة كرمهما الله.... والحب لا يدع السر مكتوما، فباحت به إحداهما إلى الأخرى فوبخهما الله على هذه الذلة ....." (٢)

وكذا ذكر سبب نزول الآيتين الأولى والثانية من سورة التحريم (٣).

ج- عادات العرب في أقوالها وأفعالها

اعتمد الفراهي في معرفة السياق علي عادات العرب في أقوالها وأفعالها حال التنزيل، مثاله: قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١-٣] (٤).

ذهب الفراهي إلى أن التين والزيتون موضعان، التين: جبل في الشمال هو الجودي أوقريب منه، والزيتون: الجبل الذي ناجي عليه سيدنا عيسى عليه السلام ربه، واستدل على ذلك بالسياق الخارجي (الاجتماعي) الذي يتمثل فى العادات والتقاليد التي كانت سائدة عند العرب، قال: " لا يخفي عليك أنه كان من عادة العرب التذكر برؤية الديار وآثارها، وكثر ذلك في

(١) ينظر تفصيل ذلك فى موضعه فى البحث (فى السياق وأثره فى تحديد المراد من الفعل المتعدى واللازم) ص ٤٩- ٥٤ .

(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٩٢، ١٩٣.

(٣) السابق ص ١٩٠، ١٩١.

(٤) ينظر تفصيل هذا الموضع ص ٧٥- ٧٧ من البحث

كلامهم جدا، فذكر المواضع للتنبيه على ما وقع فيها هو أقرب إلى أذهانهم وأوقع في نفوسهم"[١].

وكأن ذكر هذه المواضع للتنبيه على الأحداث التي وقعت فيها، وكان هذا ديدن العرب وطريقتهم.

د- كلام العرب

اهتم الفراهي بالاستدلال بكلام العرب، قال: " فمن لم يمارس كلام العرب، واقتصر على كتب اللغة ربما لم يهتد لفهم بعض المعاني من كتاب الله، ومن كلام العرب القديم"[٢]، حيث استشهد بأشعار عديدة لا سيما الشعر الجاهلي.

هـ - السياق التاريخي

قال تعالي: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: ١]

أشار القرآن إلي حقائق تاريخية لها صلة وثيقة بحياة العرب مثل: قصة أصحاب الفيل التي اشتهرت عند الجميع، لتعلقها بأمر مقدس عند العرب وهذا جزء من ثقافتهم، وقد خاطب القرآن الكريم العرب بما يفهمونه، ولا يمكن فهم المراد في مثل هذا إلا من خلال الإحاطة بالجوانب التاريخية [٣].

ذهب الفراهى إلى أن المخاطَب بقوله: (أَلَمْ تَرَ) جميع مَنْ شَهِد هذه الواقعة، أوأيقن بها من طريق تواتر الحكاية ممن رآها، ويدل على ذلك:

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٣٤٤.

(٢) السابق ص ٣٤٤.

(٣) ينظر: السياق غير اللغوي في النص القرآني، خليل خلف العامري ص ١٢٩٥، مجلة جامعة بابل، العلوم الإسلامية، مج ١٥، ع ٤ ،٢٠٠٨.

السياق الخارجي الذى يتمثل فى شيوع واقعة أصحاب الفيل في المجتمع في ذلك العصر، وفي مجتمع أهل مكة؛ لذا أشار القرآن إليها ولم يفصل فيها لأنها كانت في غاية الاشتهار(١) حتي إن العرب اتخذتها مبدأ تاريخهم، وذكروها في أشعارهم (٢)

وهذا يعني أنه لما كانت الواقعة مشهورة عند الجميع، ناسب الخطاب بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ للعموم؛ لأن واقعة أصحاب الفيل لا تخفي علي أحد.

٣-السياق الذهني أو الصفري

كان الفراهي في بعض الأحيان يجوز احتمال التأويلين، مثل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ۝٢٧﴾ [القيامة: ٢٧]

الاستفهام في الآية " يحتمل أن يكون على حقيقته بمعنى الطلب، كأنهم طلبوا له طبيبا يشفيه وراقيا يرقيه، ويحتمل أن يكون بمعني الإنكار والاستبعاد، كما يقول القائل عند اليأس: من ذا الذي يقدر أن يرقي هذا الإنسان المشرف على الموت"(٣).

لا توجد قرينة واضحة تعين المعنى المراد من هذين المعنيين، فيكون المعنيان مرادين للقائل، قال الفراهي: " فوضعت المعنيين بين يديك فخذ بأيهما شئت ولا حرج إذا كان المآل واحدا"(٤).

من كل ماسبق، يتضح: أن الفراهي راعي السياق بنوعيه الداخلي والخارجي في تفسير آيات القرآن الكريم.

---

(١) ينظر تفصيل هذا الموضع ص ٨٣ وما بعدها من البحث

(٢) ينظر: تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٤٣٨.

(٣) السابق ص ٢٣٩.

(٤) السابق – الصفحة نفسها.

المبحث الأول: السياق وأثره فى توضيح المعني المراد من الصيغ

- صيغتا : (**فاعِلة- فَعْلَة**)

قال تعالى: ﴿فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴿٤٤﴾﴾ [الذاريات: ٤٤]

تحكى هذه الآية حال قوم ثمود وعاقبتهم، حيث أعرضوا عما أمرهم الله تعالى به على لسان صالح عليه السلام

قال الفراهى:"(الصَّاعِقَة) القراءة بالألف هى الصَّيحة، ويؤيدها ما جاء من ذكرهم فى سورة هود، قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧] ومن قرأ بغير الألف فأراد التفسير لما أنهم صُعِقوا لشدة الصيحة كما يبينه بعد ذلك"(١)

التوجيه

اشتمل قول الفراهى على عدة أمور:

أولا: أوضح الفراهى أن فى (الصَّاعِقَة) قراءتين، قراءة بالألف (الصَّاعِقَة) على وزن فاعلة، وقراءة من غير ألف مع إسكان العين (الصَّعْقَة)(فَعْلَة) قال ابن الجزرى: "اختلفوا فى (الصَّاعِقَة) فقرأ الكسائى: (الصَّعْقَة) بإسكان العين من غير ألف، وقرأ الباقون بكسر العين وألف قبلها"(٢)

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٥١.

(٢) النشر فى القراءات العشر، ابن الجزرى (٣٧٧/٢) مراجعة الشيخ على محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

ثانيا: أكد الفراهى على اختلاف المعنى بين القرائتين، فالقراءة بالألف على (فاعلة) بمعنى الصيحة، والقراءة من دون ألف (الصَّعْقَة) على (فَعْلَه) تشير إلى أنهم صُعِقُوا لشدة الصيحة.

وقد اختلف اللغويون والمفسرون وعلماء التوجيه فى القراءتين "قال أبو زيد: (الصَّاعِقَة): نَارُ تُسْقَطُ من السَّمَاءِ فى رَعْدٍ شَدِيدٍ، يقال: صَعَقَتْهُمُ السماءُ: إذا أَلْقَتْ عليهم الصَّاعقة"(١)، ونقل ابن منظورعن ابن برِّى أن "(الصَّعقَة): الصوت الذى يكون عن الصَّاعِقَة "(٢) وكأن الصعقة هى الصوت الذى يصحب الصَّاعقة وهى النار التى تسقط من السماء

وذهب بعض اللغويين إلى أن الصَّاعقة والصَّعْقَة بمعنى"الصيحَةُ يُغْشَى منها على من يَسْمَعُهَا أو يموت "(٣)

كما اختلف المفسرون – أيضا– فى معنى القراءتين، فذهب الزمخشرى إلى أنه "قُرِئ الصَّعْقَة وهى المرة من مصدر صَعَقَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ، والصَّاعقة: النَّازلَة نفسها"(٤)

---

(١) الصحاح (٤/ ١٥٠٦) مادة (ص ع ق).

(٢) لسان العرب، مج ٤، ص ٢٤٥٠، مادة (ص ع ق) – ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكى بن أبي طالب القبسى، (٢٨٩/٢) تحقيق د. محى الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤م، ١٣٩٤هـ – واتحاف فضلاء البشر ص ٥١٧.

(٣) لسان العرب، مج ٤، ص ٢٤٥٠، مادة (ص ع ق) – والكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٨٨/٢، ٢٨٩).

(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: الزمخشرى،(٢٨٥/٤)، شرح وضبط: يوسف الحمادى، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، د.ت.

وذهب الرازى إلى أن (الصَّاعقة) يحتمل أن تكون الواقعة، ويحتمل أن تكون الصوت الشديد [١]، وذهب البقاعى إلى أن الصَّاعقة هى "الصَّيحة العظيمة التى حملتها الريح فأوصلتها إلى مسامعهم....." [٢]، وقال ابن عاشور: "الصيحة: الصَّاعقة أصابتهم"[٣]

يتضح مما سبق: اتفاق البقاعى وابن عاشور والفراهى على أن معنى الصَّاعقة هو الصَّيحة

ثالثا: الاحتجاج للقراءتين بذكر السياق

نحَا الفراهى مَنْحَى علماء التوجيه فى الاحتجاج للقراءتين، فنراه يذكر الحجة لكل قراءة مستدلا بالسياق

فقد ذهب كثير من علماء التوجيه للقراءات أن حجة من قرأ بألف (صاعقة) فإنه يريد العذاب أو الواقعة، أى: الاسم، وحجة من قرأ من دون ألف، فإنه يريد المرة الواحدة من الصَّعق [٤]، قال أبو زرعة:"الصعقة هى المرة الواحدة بدلالة قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴿٧٨﴾﴾ [الأعراف: ٧٨] ولم يقل: الراجفة، وقوله:

(١) تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: الإمام الرازى،(٢٢٤/٢٨). دار الفكر، ط١، ١٩٨١م.

(٢) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور: البقاعى، (٤٧٢/١٨)، دار الكتاب الإسلامى – القاهرة، د.ت.

(٣)التحرير والتنوير: ابن عاشور، (١١٥/١٢)، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.

(٤) ينظر: الحجة فى القراءات السبع، ابن خالوية، ص ٣٣٢ تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ط الرابعة ١٩٨١م، ١٤٠١هـ.

﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ ۝٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠] يعنى المرة الواحدة، فلما كان المعنى فى الصيحة: المرة الواحدة؛ رُدَّ ما اختلف فيه إلى ما أجمع عليه، وقرأ الباقون: الصَّاعقة بالألف، وحجتهم: أن جميع ما فى القرآن من ذكر الصاعقة جاء على هذا الوزن، مثل:(الرَّاجفة، والرَّادفة، والطَّامَّة، والصَّاخة)، فردُّوا ما اختلفوا فيه إلى ما أجمع عليه"(١) كذا قال مكى بن أبى طالب (٢).

ويفهم من قول أبى زرعة: أن الصعقة هى المرة الواحدةمن الصَّعْق، والصَّعْق هو" أن يُغْشَى على الإنْسَانِ من صَوْتٍ شَدِيدٍ يَسْمَعُهُ، وربما مَات مِنْهُ"(٣)، والصَّاعقة تشير إلى العذاب أو النازلة

من كل ما سبق، يتضح أنه قد اختلف علماء اللغة والتفسير وعلماء التوجيه فى معنى القراءتين، ويلجأ الفراهى إلى الاستدلال بالسياق اللغوى الكلى والجزئى على المعنى المراد من القراءتين، فقد ذهب إلى أن (الصاعقة) بالألف هى الصيحة، واستدل على ذلك بالسياق:

أ- السياق اللغوى الكلى فى سورة هود، والذى ورد فى القصة نفسها، قال تعالى: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ...﴾ [هود: ٦٧]

ب – السياق اللغوى الكلى فى سورة القمر، قال الفراهى: " كان هلاك ثمود بمحض الصاعقة كما جاء فى سورة القمر ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ۝٣١﴾ [القمر: ٣١]، قال ابن عاشور: "الصَّيْحة:

---

(١) حجة القراءات، الإمام أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، ص٦٨، تحقيق سعيد الأفغانى، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة ١٩٨٢م، ١٤٠٢هـ.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢/٢٨٨، ٢٨٩).

(٣) لسان العرب ، مج ٤، ص ٢٤٥٠ (ص ع ق).

الصَّاعقة وهى المعبَّر عنها بالطاغية فى سورة الحاقة، وفى سورة الأعراف بالراجفة، وهى صاعقة عظيمة خارقة للعادة أهلكتهم، ولذلك وُصفَت بـــ (واحدة) للدلالة على أنها خارقة للعادة إذ أتت على قبيلة كاملة وهم أصحاب الحجر"(١).

وذهب الفراهي إلى أن الصَّعْقة تشير إلى أن سبب صعق ثمود هو شدة الصيحة، واستدل على ذلك بالسياق اللغوى الجزئى الذى يتمثل فى الآية اللاحقة لهذه الآية، قال تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ [الذاريات: ٤٥]

(١) التحرير والتنوير (٢٠٢/٢٧).

المبحث الثانى: السياق وأثره فى توضيح المعنى المراد من التركيب

١- السياق وأثره فى تعيين الموصوف وصفته.

قال تعالى: ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ [الذاريات: ٢-٤]

هذه صفات للرياح، وقد عطفت بالفاء .

ذهب الفراهى إلى أن الفاء فى هذه الآيات عاطفة تفيد الترتيب، قال: " عطف الصفات بالفاء دليل على ترتيب فى الصفات، وذلك يدل على أنها صفات شئ واحد، بل ربما يعطف بالواو مع كون القسم بشئ واحد كما ترى فى أول سورة المرسلات، فالقول بأن هذه الصفات لأشياء مختلفة يخالف النظائر وكلام العرب، مثلا: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥﴾ [العاديات: ١-٥]

وقال ابنُ زَيَّابَةَ التَّيْمِي:

يَا لَهْفَ زَيَّابَةَ لِلْحَارِثِ الصَّابِحِ فَالْغَانِمِ فَالْآيبِ [(١)]

ثم لا حاجة إلى جعل هذه الصفات لأشياء متعددة، فإنها كلها مناسبة بالموصوف الواحد"[(٢)]

---

(١)البيت من بحر الرجز، وهو في ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائى، (١/ ٩٢) تحقيق عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، الجزء الأول، جامعة الإمام- المجلس العلمى١٤، ١٩٨١.

(٢) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٢١، ١٢٢..

التوجيه:

اختلف العلماء فى الموصوف بالصفات فى هذه الآيات، فذهب بعضهم إلى أن الموصوف واحد وهو الرياح، بينما ذهب بعض آخر إلى أنها صفات لأكثر من موصوف.

وتتعدد معانى الفاء الوظيفية، فهى إما أن تكون عاطفة وإما أن تكون للتعقيب، وإما أن تكون للسببية.

ذهب ابن هشام إلى أن الفاء ترد على ثلاثة أوجه" أحدها: أن تكون عاطفة، وتفيد ثلاثة أمور، أحدها الترتيب وهو نوعان: معنوى كما فى (قام زيدٌ فعمرو)، وذكرى وهو عطف مُفصَّل على مجمل نحو: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ .....﴾ [البقرة: ٣٦] ..... الأمر الثانى: التعقيب.... والأمر الثالث: السببية وذلك غالب فى العاطفة جملة أو صفة..... وقد تجئ فى ذلك لمجرد الترتيب..... نحو ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣﴾ [الصافات: ٢-٣] "[(١)]

فقد أشار ابن هشام إلى أن الفاء تعطف جملة أو صفة وتفيد الترتيب، وهذا ما أوضحه الفراهى، حيث قال: "عطف الصفات بالفاء دليل على ترتيب فى الصفات"[(٢)] فالفاء هنا عاطفة تفيد الترتيب، وذلك دلالة على أن الموصوف بهذه الصفات شئ واحد وهو (الرياح)

---

(١) مغنى اللبيب، جمال الدين بن هشام الأنصارى، (١/١٣٩، ١٤٠)، مطبعة مصطفى محمد – مصر، ١٣٥٦ه.

(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٢١.

وهذا ما أكده الرازى[١] ، وذهب أبو حيان إلى أنه يحتمل أن يكون الموصوف متغايرًا، ويحتمل

أن يكون واحدًا وهو من عطف الصفات"[٢]

وذهب الألوسى إلى أنه" إذا حملت الصفات على أمور مختلفة متغايرة فالفاء للترتيب فى الأقسام ذكرًا ورتبة....وإنْ حملت على واحد وهو (الرياح) فهى لترتيب الأفعال والصفات، إذ الريح تذر الأبخرة إلى الجو أولا حتى تنعقد سحابا، فتحمله ثانيا، وتجرى به ثالثا ناشرة وسائقة له حيث أمرها الله تعالى".[٣]

وذهب ابن عاشور إلى جواز أن تكون الصفات لموصوف واحد وهو الغالب فى عطف الصفات بالفاء[٤]، وأسلوب العرب فى عطف الصفات وعطف الأمكنة يكون بالفاء[٥]

من كل ما سبق، يتضح:

أن الصفات فى الآيات الثلاثة لموصوف واحد وهو الرياح، وهذا ما ذهب إليه كثير من العلماء، وأكده الفراهى، واستدل على ذلك بالسياق اللغوى الذى يتمثل فى الفاء التى عطف بها والتى أفادت الترتيب، والفاء وحدة

---

(١) تفسير الفخر الرازى، (١٩٦/٢٨) – وينظر: الكشاف (٢٧٨/٤).

(٢) البحر المحيط: أبو حيان التوحيدي، (١٣٣/٨) تحقيق: الشيخ. عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م..

(٣) روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: الألوسى البغدادى، (٣/٢٧)، دار إحياء التراث العربى، بيروت – لبنان.

(٤) التحرير والتنوير (٣٣٧/٢٦).

(٥) السابق (٥٠١/٣٠).

نحوية إفرادية، كما أن أسلوب العرب فى عطف الصفات يكون بالفاء، كما فى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ۝٤ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ۝٥﴾ [العاديات: ١-٥] فالموصوف هنا واحد؛ لذا عطف الصفات بالفاء.

٢- السياق وأثره فى تعيين المراد من أدوات المعانى

قال تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ۝٤٨﴾ [المرسلات: ٤٨]

توضح هذه الآية أن من صفة الكفار أنهم إذا دُعُو للصلاة لا يُصَلُّون[١]

ذهب الفراهى إلى أن (إذا) "كثيرا ما تجئ للاستقبال[٢]، وقد جاء فى القرآن أن الناس إذا حُشِروا دُعُو للسجود لربهم، فالذين لم يَسْجُدُوا لله فى الدنيا لم يستطيعوه ذلك اليوم، كما قال تعالى:﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [القلم: ٤٢-٤٣] ، وعلى هذا يكون التأويل: أنهم لا يركَعُون يوم الفصل..... وأيضا كلمة (إذا) تكون لبيان العادة[٣]، وعلى هذا يكون التأويل: أنهم لا يركعون فى الدنيا، وحينئذ يفهم من آية﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝٤٩﴾ [المرسلات: ٤٩] أنهم إذا لم

---

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازى(٣٠/٢٨٤) .

(٢) تكون ظرفا للمستقبل متضمنة معنى الشرط، وتختص بالدخول على الجملة الفعلية. ينظر: مغنى اللبيب لابن هشام (١/٨٤).

(٣) لم أجد هذا المعنى فيما اطلعت عليه من مصادر، ولعله استشف هذا المعني من هذا الموضع.

يركعوا فى الدنيا لا يستطيعونه يوم الفصل، وحينئذ يتضح جرمهم، وهذا سبب ويلهم، فمآل التأويلين واحد"[١]

التوجيه:

يتضح مما قاله الفراهى أن (إذا) تفيد الاستقبال، وهذا كثير[٢]، ويكون المعنى: أنهم لا يستطيعون الركوع يوم القيامة، كما أنها أفادت بيان العادة فى هذه الآية والمعنى: أنهم لم يعتادوا الركوع فى الدنيا

ومآل التأويلين واحد وهو: أنهم لم يعتادوا الركوع فى الدنيا لذا لا يستطيعونه يوم القيامة.

بينما ذهب كثير من العلماء إلى أن معنى الآية: أن هؤلاء الكفار إذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لا يفعلون[٣]، وذهب الألوسي إلى أن المعنى: "أطيعوا الله تعالى واخشعوا وتواضعوا له -عز وجل- بقبول وحيه واتباع دينه سبحانه، وارفضوا هذا الاستكبار "[٤] ، وقال ابن كثير:"إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٢٦٦ ،٢٦٧.

(٢) تأتي إذا علي وجهين: للمفاجاة وتكون للحال، ولغير المفاجأة وتكون ظرفا للمستقبل متضمنة مع الشرط، وقد تخرج عن معني الظرفية، وقد تخرج عن الاستقبال فتجي ء للماضي أو للحال.ينظر فى معانى (إذا) مغنى اللبيب لابن هشام (١/ ٧٩ وما بعدها) – وحروف المعانى، أبو القاسم بن إسحاق الزجاجى، تحقيق د. على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- دار الأمل ص٦٣ القسم الثانى.

(٣) ينظر: الكشاف (٤/ ٥٢٨) – وتفسير الفخر الرازى (٢٨٣/٣٠) – والبحر المحيط (٣٩٩/٨) – ونظم الدرر (٢١/ ١٨٦، ١٨٧) – والتحرير والتنوير (٢٩/ ٤٤٦، ٤٤٧) .

(٤) روح المعاني (٢٩/ ١٧٨)

من ذلك واستكبروا عنه"[1] ، والمعنى واحد عند العلماء وهو أن هؤلاء الكفار إذا أمروا بالصلاة والركوع في الدنيا لا يركعون.

أما الفراهي فقد أوضح أن قوله تعالي: "﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ ﴾[المرسلات: ٤٨] بيان لقوله: ﴿ إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ﴾ [المرسلات: ٤٦] على كلا التأويلين لقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ﴾، فإن من لم يركع لله في الدنيا فقد ارتكب جرما عظيما، فإن أول الفرائض الخشوع لله تعالي وأكبر الكبائر الاستكبار عنه وذلك لازم التكذيب....وأما علي التأويل الثاني فبأنكم مجرمون الآن ثم ذكر أن جرمهم يتبين يوم القيامة إذا دعوا إلى الركوع وعجزوا عنه ، ومفاد آية الويل ههنا بيان كون الويل نتيجة لعدم ركوعهم على كلا التأويلين" [2]

فقد أوضح الفراهي أن المعني: إذا طلب من هؤلاء الكفار الركوع يوم القيامة لا يركعون لأنهم لم يركعوا فى الدنيا ولم يعتادواعليه، وذلك مستفاد من معنيي إذا:(الاستقبال- وبيان العادة)، وقد استدل علي ذلك:

أ- بالسياق اللغوي الذي يتمثل في قوله تعالي:﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

ب - السياق الخارجى (سياق الحال أو المقام) الذى يتمثل فى ما رواه ابن عباس- رضي الله عنه- قال: " هذا يوم القيامة يُدْعَون إلى السجود فلا يستطيعون السجود من أجل أنهم لم يكونو يسجدون في الدنيا"[3]

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (١٩١/٨)، مكتبة الصفا، ط الأولى،٢٠٠٤م.

(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٢٦٩ ،٢٧٠.

(٣) روح المعاني (٢٩/ ١٧٨)

٣- السياق و أثره فى توضيح المراد من الموصول وصلته وضمير الصلة

الموصول هو "ما افتقر إلى الوصل بجملة خبرية، أو ظرف أو مجرور تامَّين، أو وصف صريح، وإلى عائد أو خلفه، ويحتاج الموصول إلى أمرين: الصلة وهى واحد من أربعة أمور:

أحدها: الجملة وشرطها أن تكون خبرية ... والثانى: الظرف، والثالث: الجار والمجرور.... والرابع: الوصف الصريح، والأمر الثانى: الضمير العائد من الصلة إلى الموصول(١)"

أ- قال تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧]

أوضح الفراهى المُنْعَم عليهم فى هذه الآية:، قال: "فاعلم أن الله تعالى بين قوله:﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧] فى سورة النساء، حيث قال عز من قائل:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ۝٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥ وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ۝٦٦ وَإِذٗا لَّأٓتَيۡنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٦٧ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطٗا

---

(١) شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب، ابن هشام الأنصارى ص١٣٧ المكتبة العصرية (صيدا- بيروت) - وينظر: حاشية الصبان على شرح الأشمونى (١٤٦/١) دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابى الحلبي.

مُّسْتَقِيمًا﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩-٧٠] فلم يلتبس على العلماء بعض ما فى هذه الآيات، فإنهم اتفقوا على أن فيها بيان ما ذُكر فى الفاتحة من المنعم عليهم، فقالوا: إنهم أربع درجات: النبى، والصديق، والشهيد، والصالح فالآن تفصيل هذا الأمر بالنظر فى ما سبق ولحق بهذه الآية الواحدة التى فيها تفصيل الدرجات الأربع" (١)

التوجيه

اتضح من قول الفراهى أن المُنْعَم عليهم فى آية الفاتحة هم: النبى، والصديق، والشهيد، والصالح، واستدل على ذلك بالسياق اللغوى الكلى الذى يتمثل فى قوله تعالى- فى سورة النساء- : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴿٦٩﴾﴾ [النساء: ٦٩]

وقد اختلف بعض المفسرين فى المراد بالمُنْعَم عليهم، قال: أبو حيان " والمُنْعَم عليهم -هنا- الأنبياء أو الملائكة، أو أمة موسى وعيسى الذين لم يغيروا، أو النبى ﷺ، أو النبيون والصديقون والشهداء والصالحون"(٢)، وقيل: " المؤمنون مطلقا.... وقيل: أصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ، وقيل: أصحاب محمدﷺ وقيل محمدﷺ وأبو بكر وعمر- رضى الله تعالى عنهما" (٣)

وذهب الألوسى إلى أن " الأولى ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما – أن المراد بالذين أنعمت عليهم: الأنبياء

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٩٨، ٩٩ .

(٢) البحر المحيط (١/ ١٤٧).

(٣) روح المعاني (١/ ٩٤) – وينظر: التحرير والتنوير (١/١٩٤).

والملائكة والشهداء والصديقون ومن أطاع الله تعالى وعَبَدَهُ، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩]" (١)

وبهذا يتفق الفراهى مع الألوسى فى الاستدلال بالسياق اللغوى الكلى على المراد من المُنْعَم عليهم.

ثم يؤكد الفراهى كلامه بالإشارة إلى السياق الخارجى الذي يتمثل فى أسباب نزول الآيات التى فى سورة النساء، حيث يقول: "اعلم أن هذه الآيات تخاطب أهل الكتاب الذين منهم المنافقون، وتَدْعُوهُم إلى الطاعة الصحيحة، والانقياد التام للنبى الكريمﷺ، وتخبرهم بأن الذين ظلموا أنفسهم بالعصيان إن جاءوا إلى النبى واستغفروا الله مستشفعين بهذا النبى، وجدوا الله تعالى توابا رحيما، فيغفر لهم ما سبق، فإذا ثبتوا على التوبة بالطاعة أتاهم أجرا عظيما، وهداهم الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم، فاتضح لنا أن تحت هذه الدرجات الأربع درجة للذين استغفروا بعد ما ظلموا أنفسهم، وهم الذين يلحقون بهؤلاء الأربع كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء: ٦٩] فالتوبة بعد الظلم درجة مستقلة رفيعة، وكثر حمدها فى القرآن"(٢)

(١) السابق-الصفحة نفسها.

(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٩٩.

يشير الفراهى فى كلامه السابق إلى السياق الخارجى الذى يتمثل فى سبب نزول آيات سورة النساء، ويستدل به على المراد من المُنْعَم عليهم في سورة الفاتحة.

وأوضح النيسابورى فى أسباب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠] أنه " كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فدعا اليهودى المنافق إلى النبى ﷺ لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودى إلى حاكمهم؛ لأنه علم أنهم يأخذون الرشوة فى أحكامهم، فلما اختلفا اجتمعا على أن يُحَكِّمَا كاهنًا فى جهينة، فأنزل الله تعالى فى ذلك: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعنى المنافق ﴿ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾ يعنى اليهود،﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ ﴾[النساء: ٦٠] إلى قوله ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] "[1] ، وهناك روايات أخرى ذكرها النيسابورى وأبوحيان وابن عاشور[2]، وقال مجاهد: نزلت الآيات فيمن أراد التحاكم إلى الطاغوت، ورجحه الطبرى؛ لأنه أشبه بنسق الآيات[3].

وقد أشار الفراهى إلى السياق الخارجى ليوضح أن هناك صنفا آخر يُضَاف إلى المُنْعَم عليهم فى سورة الفاتحة والنساء، هذا الصنف هم

---

(١) أسباب النزول، النيسابورى ص١١٩، ١٢٠.

(٢) ينظر: السابق١٢٠، ١٢١ – والبحر المحيط (٢٩١/٣) – والتحرير والتنوير (١٠٢/٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبرى (٥٢٣/٨، ٥٢٤) – والبحر المحيط (٢٩٦/٣).

الذين ظلموا أنفسهم حيث تحاكموا إلى الطاغوت فكان ذلك عصيانا لهم ثم ذهبو إلى المصطفى ﷺ طالبين منه الاستغفار، قال ابن عاشور"كان فعل هذا المنافق ظلما لنفسه؛ لأنه أقحمها فى معصية الله ومعصية الرسول، فَجَّر لها عقاب الآخرة وعرَّضها لمصائب الانتقام فى العاجلة"[1]

مما سبق، يتضح: استدلال الفراهى بالسياق اللغوى والخارجى على المراد من المُنْعَم عليهم فى قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ ...﴾ [الفاتحة: ٧]

ب - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥﴾ [الذاريات: ٥]

الاسم الموصول هنا (ما) وتسمى (ما) الناقصة لأنها تحتاج إلى الصلة بحيث لا تتم إلا بها [2]، وجملة الصلة (توعدون)، والعائد محذوف تقديره: (توعَدُونه) أو (تُوعدون به) [3]

ذهب الفراهي إلى أن ما يوعدونه يعم كل ما وعد الله به علي لسان رسله، وما وعد به المؤمنين من النصرة والكافرين من الخذلان في الدنيا والوعد بالبعث، قال: " توعدون من الوعد، أي ماوعدكم الله علي لسان رسله وأقام عليه دلائل بينة، وقد كثر في القرآن أن القيامة والبعث والجزاء حسب الأعمال الحسنة والسيئة، كل ذلك وعد من الله تعالي،

---

(١) التحرير والتنوير (١١٠/٥).

(٢) مغنى اللبيب لابن هشام (الجزء الثانى) هامش ص ٢، مطبعة مصطفى محمد، ١٣٥٦هـ.

(٣) ويحتمل أن تكون (ما) مصدرية، أي إنه وعدكم أو وعيدكم.البحر المحيط (٨/ ١٣٣)- وروح المعاني (٢٧/ ٤)

مثلا: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ [يونس: ٤] ، أيضا: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ [النحل: ٣٨]...أيضا﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ [الكهف: ٢١]...ثم يشمل هذا الوعد أيضا ما وعد الله المؤمنين من النصرة، والكافرين من الخذلان في هذه الحياة، وقد جاء ذكر ذلك في القرآن، فمنه قوله تعالي:﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ [النور: ٥٥]..." [١]

ثم أكد الفراهي علي أن ما يوعدونه هو البعث، قال: " فقوله: (إِنَّمَا تُوعَدُونَ) بظاهره يعم كل ما وُعِدوا، ولكن موقعه يخصه بما وعدوا من البعث "[٢]، وهذا ما ذهب إليه الزمخشري، حيث أكد على أن الموعود البعث [٣]، وذهب البقاعي إلى أن (ما توعدون) يحتمل الوعد للطائع والوعيد للعاصي[٤]، وذهب ابن عاشور إلى أن " الذي أوعدوه عذاب الآخرة وعذاب الدنيا، مثل: الجوع فى سنى القحط السبع الذى هو دعوة النبىﷺ عليهم ....ويجوز أن يكون (توعدون) من الوعد.... والمراد بالوعد الوعد بالبعث" [٥]

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٢٣.
(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٢٣.
(٣) الكشاف (٤/ ٢٧٨).
(٤) نظم الدرر(١٨/ ٤٤٨) – وينظر: روح المعاني (٢٧/ ٤).
(٥) التحرير والتنوير (٢٦/ ٣٤٠).

فقد وافق الفراهى الزمخشرى وابن عاشور فى أن الموعود هو البعث، واستدل على ذلك بالسياق اللغوى الذى يتمثل فى:

أ- قوله تعالى- بعد هذه الآية: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات: ٦] لأن الجزاء هو المقصود من البعث بعد الموت، فكأن المقصود من البعث هو إثابة المطيع وعقاب العاصى.

ب - بعض آيات القرآن الكريم التى توضح أن الموعود هو البعث، منها: قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٣٨]

يقول الفراهى:"قوله: (إنما توعدون) بظاهره يعم كل ما وُعِدُوا ولكن موقعه يخصه بما وعدوا من البعث كما جاء فيما ذكرنا من الآيات، وكما يفسره ما يتبعه من ذكر وقوع الدين، ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات: ٦] " أى: الدينونة والجزاء، وذلك داخل فى (ما توعدون) فالعطف من قبيل عطف الخاص على العام أو الجزء على الكل.... فإن الدين أى الجزاء هو المقصود من البعث بعد الموت، كما صرح بذلك فى كثير من المواضع"[1]

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٢٣.

٤- السياق وأثره فى تحديد المعني المراد من الفعل المتعدى أو اللازم.

قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ .....﴾ [التحريم: ٤]

هذه الآية "خطاب لحفصة وعائشة – رضى الله عنهما – على طريق الالتفات ليكون أبلغ فى معاتبتهما"(١)

يتعدى الفعل(صغا) بحروف الجر الثلاثة (إلى– عَنْ– على)

ذهب الفراهى إلى أن الفعل(صغا) معناه: مال إلى الشئ، لا مال عنه، ورأى أن (الميل) هو المعنى الكلى، و(الصغو) من المعانى التى تندرج تحته، قال:

"فى جميع الألسنة، ولا سيما فى لغة العرب ألفاظ خاصة لأفراد خاصة تحت معنى كلى، والذهول عن هذه الخصوصيات مبعد عن فهم اللسان، مثلا: الميل معنى كلى، ثم تحته: الزيغ، والجُور، والارعواء، والحيادة، والتَّنَحِّى، والانحراف كلها للميل عن الشئ، والفئ، والتوبة، والالتفات والصغو كلها للميل إلى الشئ، فمن خبط بينهما ضلَّ وأضلَّ.

فلا يخفى عن العالم بلسان العرب أن قوله تعالى: ﴿صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ معناه: أنابت قلوبكما، ومالت إلى الله ورسوله، فإن الصغو هو الميل إلى الشئ لا عن الشئ، منه: صاغة الرجل لأتباعه، وصَغْوُهُ مَعَكَ أى: مَيْلُهُ، وأَصْغَيْتَ إلى فُلَان، أى: مِلْتَ بسَمْعِكَ نَحْوَهُ"(٢)

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٢٢).

(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص١٩٨– وينظر: لسان العرب مج ٤، ص ٢٤٥٤، مادة (ص غ ا).

وكأن الفراهي يري أن الفعل (صغا) لا يتعدي إلا بحرف الجر (إلي) فقط، لأن عنده (صغا) بمعني : مال إلي.

وبالرجوع إلي المعاجم اللغوية اتضح أن الفعل (صغا) يتعدي بحروف الجر الثلاثة: (إلي، وعن، وعلي)، قال الخليل: " صَغَا يَصْغُو فُؤَادُهُ إلي كذا، أي: مَالَ ، وصَغْوُكَ إليه أي:مَيْلُك، وأَصْغَيْتُ إليه: اسْتَمَعْتُ، والإِصْغَاء: الإِمَالَة"(١)،وقال ابن منظور: " صَغَا إِلَيْه يَصْغَي ويَصْغُو صَغْوًا وصُغُوًّا، وصَغَا : مَالَ...وقال ابن السكِّيت: " صَغَيْتُ إلي الشئ أَصْغَي صِغِيًّا: إِذَا مِلْتُ...وَصَغْوُهُ مَعَكَ وصِغْوُهُ وصَغَاهُ، أي مَيْلُهُ مَعَكَ"(٢) ، ويقال: " صَغَا الرجلُ: إِذَامال علي أحد شِقَّيْهِ أوانْحَنَي في قوسِهِ،وَصَغَا علَي الْقَوْمِ صَغًا: إِذَا كَانَ هَوَاهُ معَ غَيْرِهِم"(٣)، فكأنه مال عنهم، وفي المعجم الوسيط: " صَغَا إِلَي الْقَوْمِ: كَانَ هَوَاهُ معَهُم، وصَغَا علَي الْقَوْمِ: كَانَ هَوَاهُ معَ غَيْرِهِم "(٤)

مما سبق، يتضح أن الصغو عند الفراهي بمعني : الميل إلي، أما عند اللغويين فبمعني: المَيْل مطلقا، ثم يأتي حرف الجر بعده ليوضح المعني، فيتعدى الفعل صغا بحرف الجر(إلى)، يقال: صغا إلى الشئ، أى مال إليه، ويؤيده قوله تعالى:﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٣] ويتعدى ب (على) نحو: صَغَا علَى

---

(١) العين للخليل (غ ص و).

(٢) لسان العرب مج ٤، ص ٢٤٥٤، مادة (ص غ ا) – وينظر الصحاح (٥/ ٢٤٠٠)– المادة نفسها.

(٣) لسان العرب مج ٤، ص ٢٤٥٤ (ص غ ا).

(٤)المعجم الوسيط ص ٥١٥ ، مادة (ص غ ا).

الْقَوْمْ: إذا كان هَوَاهُ مع غَيْرِهِم، وكأنه مال عنهم، وتتضمن على معنى (عَنْ)، وتعدية الفعل (صغا) بعن مستفاد من أقوال المفسرين:

قال الزمخشرى: "﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ .....﴾: فقد وُجد منكما ما يوجب التوبة، وهو ميل قلوبكما عن الواجب فى مخالصة رسول الله ﷺ فى حب ما يحب وكراهة ما يكرهه"(١)، وقال الرازى: "﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾ أى: عدلت ومالت عن الحق، وهو حق الرسول ﷺ، وذلك حق عظيم يوجد فيه استحقاق العتاب بأدنى تقصير"(٢)، قال أبو حيان: "﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ﴾: مالت عن الصواب"(٣)، وقال الألوسى:"مالت عن الواجب فى مخالصته ﷺ بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه إلى مخالفته"(٤)

يتضح مما قاله المفسرون: أن (صَغَت) فى الآية بمعنى: مالت عن .

وجواب الشرط محذوف للعلم به، والتقدير: كان خيرًا لكما (٥)، وقيل التقدير: يمح إثمكما، وقيل: فقد أديتما ما يجب عليكما (٦)، وهذا ما أشار إليه الفراهى عندما قال: ".... الجملة بعد (قد) تذكر أمرًا ليسهل به ما ذكر بعد (إن)، كأن تقدير الكلام: أنه يكن كذا وكذا فلا بأس أو لا إشكال،

---

(١) الكشاف (٤/ ٤٢٣).

(٢) تفسير الفخر الرازى (٤٤/٣٠).

(٣) البحر المحيط (٨/ ٢٨٦).

(٤) روح المعانى (١٥٢/٢٨).

(٥) تفسير الفخر الرازى (٤٤/٣٠).

(٦) روح المعانى (١٥٢/٢٨).

أو الأمر هيِّن، فإنه وقع كذا وكذا"[١]، وعليه فقد ذهب الفراهى إلى أن التأويل الواضح للآية هو: إن تتوبا إلى الله بابتغاء مرضاة النبى ﷺ كما هو يبتغى مرضاتكما فهذا هو المَرْجُو منكما، فإن قلوبكما راغبة إليه"[٢] واستدل بعض المفسرين على أن ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ بمعنى: مالت عن بقراءة ابن مسعود: (زاغت) [٣] ويرد الفراهى ذلك بقوله: "قراءة من لا يعبأ به[٤]، فهل ترى كيف سعيهم فى أن يبدلوا معنى (صغا) إلى (زاغ) "[٥] .

وذهب ابن عاشور إلى أن (صغت) في الآية بمعني: مالت إلي ، قال: " صغت: مالت، أي: مالت إلي الخير وحق المعاشرة مع الزوج....وفيه إيماء إلي أن ما فعلتاه انحرافا عن أدب المعاشرة الذي أمر الله به، وأن عليهما أن تتوبا مما صنعتاه ليقع بذلك صلاح ما فسد من قلوبهما"[٦] .

يتفق الفراهي مع ابن عاشور في أن المعني المراد من قوله تعالي: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: مالت إلي الله ورسوله، ومالت إلي الخير وحق المعاشرة مع الزوج.

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٢٠١.

(٢) السابق الصفحة نفسها.

(٣) ينظر: الكشاف (٤٢٣/٤) – والبحر المحيط (٢٨٦/٨) – وفى مختصر شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالوية ص١٥٨، قراءة على رضى الله عنه والأعمش، مكتبة المتنبى– القاهرة.

(٤) ما قاله الفراهي لا يليق بصحابي جليل مثل عبد الله بن مسعود حتي وإن كانت قراءته شاذة.

(٥) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٢٠٠.

(٦) التحرير والتنوير (٣٥٦/٢٨).

وأري أنه لا خلاف بين الرأيين، الرأي الأول: الذي رأي أصحابه أن معني ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: مالت عن الحق، والرأي الثاني: الذي ذهب أصحابه إلي أن المعني: مالت إلي الخير والحق، لأن معني الآية – علي الرأي الأول –:إن تتوبا إلي الله فلا بأس، فقد بدر منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الحق، وهو إفشاء سر الزوج، قال ابن عاشور: " إنباء النبي ﷺ بعلمه بما أفشته القصد منه الموعظة والتحذير والإرشاد إلي رأب ما انثلم من واجبها نحو زوجها، وإذ قد كان ذلك إثما لأنه إضاعة لحقوق الزوج وخاصة بإفشاء سره ذكرها بواجب التوبة منه"(١) .

ومعني الآية علي الرأي الثاني: فقد صغت قلوبكما، أي: مالت إلي الخير وحق المعاشرة مع الزوج، وكأن مآل التأويلين واحد.

واستدل الفراهي علي أن معني قوله تعالي: (صغت قلوبكما): مالت إلي الحق وإلي الله ورسوله: بالسياق الخارجي الذي يتمثل في سبب نزول الآية، قال:"كان بين أزواج النبي ﷺ أُنْسٌ ونصح، لا سيما بين أُمَّتَي المؤمنين حفصة وعائشة – كرَّمهما الله–.... والحب لا يدع السر مكتوما، فباحت به إحداهما إلي الأخري، فوبَّخَهُما الله تعالي علي هذه الزلة"(٢)

ثم قال: " فلما أظهر النبي ﷺ بعض السخط علي إفشاء السربينهما، وقلل الاستئناس بهما، كبر ذلك عليهما، وهيَّجَ فيهما الحَمِيَّة والغيرة، وهذه قلما تفارق أهل الشرف والعزة، مع أنها في بعض الأحيان خطأ،

(١) التحرير والتنوير (٣٥٦/٢٨).

(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص١٩٢، ١٩٣– وينظر: أسباب النزول للنيسابوري ص ٣٢٧.

فأعرضتا عن النبي ﷺ بعض الإعراض، كما يقع بين المرء وزوجه، وحسبتا أنه ليس في شيء من الدين .....فوعظهما الله، وأوضح لهما أن ولاية النبي ﷺ بكما ومصيره إليكما.....ليس إلا رأفة منه بكما ...ثم هو محفوف بالملائكة فلن يعدم الاستئناس، وبين لهما أن الإعراض عن النبي ﷺ في المعروف إعراض عن أمر الله ولا بد لكما من التوبة إلي الله"(١)

٥- السياق وأثره في تحديد المعني المراد من الأسلوب الإنشائي

أ: أسلوب الاستفهام

قال تعالي: ﴿وَقِيلَ مَنۜ رَاقٖ ۝٢٧﴾ [القيامة: ٢٧]

هذا القول على لسان من حاضَرُوا المُحْتَضَر، أو من يعز عليهم الميت بعضهم لبعض: أيكم يرقيه مما به؟

قوله تعالى:﴿مَنۜ رَاقٖ ۝٢٧﴾ أسلوب استفهام يحتمل أن يكون علي حقيقته، ويحتمل أن يكون بمعني الإنكار والاستبعاد، فهو مشترك أسلوبي، قال الفراهي: "﴿وَقِيلَ مَنۜ رَاقٖ﴾ حكاية عن شدة الأمر حين لا يُلْتَفَت إلي الذي قال...و(مَنْ) قبل النكرة تجيء لشدة الطلب أو عند غلبة اليأس....وربما ينتهي اليأس إلي الإنكار كما هو العادة في الاستفهام في جميع الألسنة المشهورة، ومنه قوله تعالي:﴿ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ ﴾ [القصص: ٧١]، والاستفهام للإنكار شائع(٢)، ولكني أردت الاستشهاد علي

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ١٩٣، ١٩٤.

(٢) الاستفهام في قوله: ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ إنكاري وهم معترفون بهذا الانتفاء وأن خالق الليل والنهار هوالله تعالي لا غيره. التحرير والتنوير (١٦٩/٢٠).

مجيء النكرة بعد (مَنْ) وكشف معناها في هذا التركيب الخاص، فإن الآية محتملة لوجهين.....الأول: أنه إذا جاءت سكرة الموت، وحشْرَجَت النفس، وقالت العُوَّاد اضطرابا....: ألا راقٍ فيُدَاوِيه؟

الثاني: إنهم قالوا: قد حُمَّ الأمر، وانقطع العُمْر، فأي راقٍ يشفيه؟ وهذا لشدة يأسهم، وحينئذ أيقن المحتضرأنهم أسلموه وودَّعُوه، وعلم أنه الفراق، والعرب قد نطقت بهذا المعني،

قالت الخنساء:

لَكِنْ سِهَامُ الْمَنَايَا مَنْ يُصِبْنَ لَهُ لَمْ يَشْفِهَ طِبٌّ ذِي طِبٍّ وَلَا رَاق [1]

وقال عُدَي بن زيد:

أَوْ تَكُنْ وِجْهَةٌ فَتِلْكَ سَبِيلُ النَّاسِ لاَ تَمْنَعُ الحُتُوفَ الرَّوَاقِي [2] " [3]

التوجيه:

ذهب الفراهي إلي أن قوله تعالي: ﴿مَنۡۜ رَاقٖ ۝٢٧﴾ أسلوب استفهام يحتمل أن يكون علي حقيقته، ويحتمل أن يكون بمعني الإنكار والاستبعاد، وعلي هذا فالآية الكريمة تحتمل معنيين:

---

(١)البيت من بحر البسيط وهو في أنيس الجلساء فى شرح ديوان الخنساء ص ١٨١، ضبطه وصححه الأب لويس شيخو اليسوعى، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت، ١٨٩٦م. .

(٢) البيت من الخفيف، وهو في ديوان عدي بن زيد العبادى، ص١٥١، تحقيق محمد جبار المعيْبِد، وزارة الثقافة والإرشاد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥.

(٣) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٢٣٩.

الأول: أنه إذا جاءت سكرة الموت، وحشْرَجَت النفس، وقالت العُوَّاد اضطرابا: ألا راقٍ فيُدَاوِيه؟

الثاني: إنهم قالوا: قد حُمَّ الأمر، وانقطع العُمْر، فأي راقٍ يشفيه؟ وهذا لشدة يأسهم.

والاستفهام على المعنى الأول حقيقى، معناه: أن العُوَّاد طلبوا راقيا للشخص المُشْرِف على الموت

والاستفهام على المعنى الثانى غير حقيقى يراد به الإنكار والاستبعاد، وكأن العواد يَئِسوا من أن يكون هناك راق يشفى هذا المحتَضَر

وقد أوضح الفراهى هذين المعنيين بالإشارة إلى تركيب: ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾ الذى يشتمل على مجئ النكرة بعد ﴿مَنْ﴾ حيث تفيد شدة الطلب أو غلبة اليأس، وكأن هذا التركيب ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾ يحتمل معنى الطلب، وعلى هذا فالاستفهام حقيقى، أو معنى اليأس وعلى هذا فالاستفهام يقصد به الإنكار.

وقد وافق الفراهى كثيرًا من العلماء الذين ذهبوا إلى أن أسلوب الاستفهام ﴿مَنْۜ رَاقٍ﴾ يحتمل أن يكون على حقيقته، ويحتمل أن يراد به الإنكار

قال الرازى: " هذا الاستفهام يحتمل أن يكون بمعنى الطلب كأنهم طلبوا له طبيبا يشفيه وراقيا يرقيه، ويحتمل أن يكون استفهاما بمعنى الانكار والاستبعاد، كما يقول القائل عند اليأس: من الذى يقدر أن يرقى هذا الإنسان المشرف على الموت"[1] كذا قال أبو حيان والألوسى[2]

(١) تفسير الفخر الرازى (٢٣١/٣٠).

(٢) ينظر البحر المحيط (٣٨٠/٨، ٣٨١) – وروح المعانى (٢٩/ ١٤٦).

وذهب الفراهى إلى أنه لا توجد قرينة أو سياق يحدد المعنى المراد من الاستفهام فى الآية، قال: " فوضعت المعنيين بين يديك فخذ بأيهما شئت، ولا حرج إذا كان المآل واحدًا"(١)

فيكون المعنيان مرادين للقائل، وهذا ما يسمى بالسياق الصفرى أو الذهنى.

ب- أسلوب الدعاء

١- قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٢٤]

ذهب الفراهى إلى أن هذا الأسلوب يحتمل أن يكون خبريا، ويحتمل أن يكون إنشائيا، قال: "أما أسلوبها فيحتمل الإنشاء والإخبار، والإخبار إما لبيان ثبوت الويل كما جاء فى كثير من الآيات، مثلا: ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] أو لبيان قولهم في ذلك اليوم – كما جاء في القرآن- : ﴿وَقَالُواْ يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ [الصافات: ٢٠]، أيضا: "﴿قَالُواْ يَوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ [يس: ٥٢]، وتكرار الويل يدل علي كثرة أسبابه علي تأويل الثبوت، وعلي كثرة مواقعه علي تأويل تكلمهم بها، كما بين ذلك حيث جاء: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ١٣ لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ١٤﴾ [الفرقان: ١٣ ، ١٤] فهذا جامع لكثرة أسباب الويل وكثرة التكلم به"(٢)

التوجيه:

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٢٣٩.

(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٢٤٨، ٢٤٩.

أكد الفراهي علي أن قوله تعالي: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ يحتمل أن يكون أسلوبا خبريا للإخبار عن ثبوت الويل للكافرين في كثير من الآيات، أوإخبار الكافرين عن أنفسهم بالويل والهلاك في ذلك اليوم، وأشار إلي أن تكرار الويل في القرآن الكريم يدل علي كثرة أسبابه ومواقعه وفقا للسياق.

بداية: لا بد من الإشارة إلى أن لفظة الويل فى اللغة تدور حول معانى الشر والهلكة والحسرة، قال ابن منظور: "الويل: حلول الشر.... والويل: الحزن والهلاك والمشقة من العذاب، وكل مَنْ وَقَعَ فى هَلَكَةٍ دَعَا بالْوَيْلِ"(١)، وقيل "هو تفجيع، يقال: وَيْلَهُ وويلك وويلى ...." (٢) لذا رأى الفراهى أن كلمة (ويل) "تجمع كل ما يكون سببا للويل مما يصيبهم من الحزن والحسرة والفزع، وما أَعَدَّ لهم من العقاب، وربما يصرح بما يكون سببا للويل كما في قوله تعالي: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ٢] ، أيضا : ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]...وبالجملة فكلمة (الويل) ليست مختصة بأمر خاص"(٣)

يشير الفراهي بذلك إلي كثرة الويل نظرا لكثرة أسبابه، وأن الأسلوب يصلح أن يكون خبريا، ويصلح أن يكون إنشائيا، بينما ذهب بعض علماء التفسير إلي أن قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أسلوب خبري بمعني

---

(١) لسان العرب مج ٦، ص ٤٩٣٨، ٤٩٣٩، مادة (و ى ل) – وينظر: العين للخليل (و ى ل).

(٢) القاموس المحيط (٤/ ٦٦) مادة (و ي ل).

(٣) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، ص٢٤٩.

الدعاء، قال الزمخشري عن لفظة ويل: "هو في أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله، ولكنه عُدِل به إلي الرفع للدلالة علي معني ثبات الهلاك ودوامه للمدعُو عليه، ونحوه: سلام عليكم" (١) فهودعاء بسوء الحال(٢) وذهب الألوسي إلي أن مسوغ الابتداء بالنكرة (ويل) -هنا- هو كونها للدعاء كما في (سلام عليكم) (٣)، وذهب الفراء إلي أن لفظة ويل" تستعمل دعاء وتعجبا وزجرا، مثل قولهم: لا أبا لك، وثكلتك أمك، ومعني:﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ﴾ [البقرة: ٧٩] دعاء مستعمل في إنشاء الغضب والزجر"(٤)

فى حين لم يستحسن سيبويه أن يكون هذا الأسلوب بمعنى الدعاء، قال: "وأما قوله تعالى جده ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ١٥﴾ [المرسلات: ١٥] و ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ١﴾ [المطففين: ١] فإنه لا ينبغى أن نقول إنه دعاء ههنا؛ لأن الكلام بذلك قبيح، واللفظ به قبيح، ولكن العباد إنما كلموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون، فكأنه – والله أعلم- قيل لهم: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ١﴾ و﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ١٥﴾، أى هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم؛ لأن هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة، فقيل: هؤلاء ممن دخل فى الشر والهلكة ووجب لهم هذا"(٥)

---

(١) الكشاف (٤/ ٥٢٤، ٥٢٥) – وينظر: نظم الدرر (٢/ ١٧٠)

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٣٠/ ١٨٩).

(٣) روح المعاني (٢٧/ ١٧٣)

(٤) التحرير والتنوير (١/ ٥٧٦، ٥٧٧)

(٥) الكتاب لسيبويه (١/ ٣٣١، ٣٣٢)

فقد أكد سيبويه علي أن قوله تعالي: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أسلوب خبري لا إنشائي.

وذهب ابن عاشور إلي أن "هذه الجملة صالحة لمعني الخبرية ولمعني الإنشاء؛ لأن تركيب (ويل له) يستعمل إنشاء بكثرة"(١)

وعلي هذا يكون الفراهي موافقا لابن عاشور في أن قوله تعالي: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ أسلوب يحتمل أن يكون إخبارا، ويحتمل أن يكون إنشاءً.

ولم يذكر الفراهي سياقا أوقرينة تعين أحد المعنيين، فيكون المعنيان مرادين للقائل، وهذا مايسمي بالسياق الصفري أو الذهني، وكأن المراد من هذه الآية: إخبار المشركين الذين يسمعون القرآن بسوء حالهم، وتهويل يوم الفصل في نفوسهم ليحذروه، ودعاء عليهم بسوء الحال والشر.

٢- قال تعالي:﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد: ١]

بعد أن ربط الفراهي بين سورة المسد والسورة التي قبلها وهي النصر، حيث قال: " اعلم أن سورة اللهب تؤكد وتوضح معني النصر المذكور قبلها وتُبَشِّر به، كأنه قيل: قد نصر الله نبيه وأهلك عدوه "(٢) أوضح أن قوله تعالي: :﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ أسلوب خبري، فهو خبر لا دعاء، قال : " اعلم أن مفهوم (تَبَّتْ يَدَاه) : إنه صار عاجزا عن الانتصار؛ لأن كسر اليد كناية واضحة عن كسر القوة والعجز....فهذه الآية ليست

(١) التحرير والتنوير (٢٩/ ٤٢٧)

(٢) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٥٧٦.

بدعاء عليه ولا في شيء من الشتم، بل ذكره بالكنية أقرب إلي الإكرام، فالتأويل ظاهر أنه إخبار ونبوة تُنْبِيء عن هلاك رئيس أعداء الله...كما أن قوله تعالي : ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ٢] إخبار ونبوة" (١)

التوجيه:

ذهب الفراهي إلي أن قوله تعالي:﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴾ أسلوب خبري لا إنشائي، فهو ليس دعاءً علي أبي لهب؛ لأن ذكره بالكنية تكريم له، بينما ذهب الزمخشري إلى أن الكنية لا تكون تكريما في كل الأحوال، وأوضح أن هناك ثلاثة أوجه :"أحدها: أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم، فقد يكون الرجل معروفا بأحدهما....فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقي سمة له ذكر الأشهر من علميه....والثاني: أنه كان اسمه عبد العزي فَعُدِلَ عنه إلي كنيته، والثالث: أنه لما كان من أهل النار ومآله إلي نار ذات لهب وافقت حالُهُ كنيته، فكان جديرًا بأن يذكر بها ويقال: أبو لهب، كما يقال: أبو الشر للشرير، وأبو الخير للخيِّر"(٢)

وأوضح الجوهرى أن "التَّبَابُ: الخُسْرَانُ والهَلَاكُ، تقُول منه: تَبَّ تَبَابًا، وتَبَّت يدَاهُ... "(٣)، ويقال:" تَبًّا له علي الدعاء، نُصب لأنه مصدر محمول علي فعله كما تقول: سُقْيًا لفلان.... وتَبَّت يدَاهُ تَبًّا وتَبابا: خَسِرَتا"(٤) ،

(١) السابق ص ٥٧٦، ٥٧٧.

(٢) الكشاف (٤/ ٦٤٧، ٦٤٨) – وينظر: تفسير الفخر الرازى (١٦٨/٣٢).

(٣) الصحاح (١/ ٩٠) مادة (ت ب ب).

(٤) لسان العرب مج ١، ص ٤١٥ ، مادة (ت ب ب)

وعن ابن عباس: تَبَّت: " خابت، وقتادة: خَسِرَت، وابن جُبَير: هلكت، وعطاء: ضلَّت...وهذه الأقوال متقاربة في المعني " [١]

وقد ذهب كثير من العلماءإلي أن قوله تعالي: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ دعاء علي أبي لهب [٢]،

قال أبو حيان: " والظاهر أن التب دعاء، وتب: إخبار بحصول ذلك، ويدل عليه قراءة عبد الله: وقد تب "[٣] لأن (قد) لا تدخل علي الدعاء، وقال ابن عاشور: " والكلام دعاء وتقريع لأبي لهب، دافع الله به عن نبيه بمثال اللفظ الذي شتم به أبولهب محمدا ﷺ جزاءً وفِاقًا"[٤]

واستدلوا علي ذلك بالسياق الخارجي المتمثل في سبب نزول الآية [٥]

---

(١) البحر المحيط (٥٢٦/٦) – وينظر: تفسير الفخر الرازى (١٦٦/٣٢).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازى (١٦٧/٣٢) – ونظم الدرر (٣٣١/٢٢) – وروح المعاني (٣٠/ ٢٦٠، ٢٦١).

(٣) البحر المحيط (٥٢٦/٦)

(٤) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٠١)

(٥) رُوِي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "صعَدَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الصَّفا فقال: يا صَبَاحَاه، فاجْتَمَعَت إليه قريش، فقالوا: له مَالَك؟ قال: أرأيْتم لو أخْبَرتُكُم أن العَدوَّ مُصبْحكم أو مُمْسيكم أما كنتم تُصَدِّقُون؟ قالوا بلى، قال فإنِّي نَذِير لكم بين يَدَىْ عَذَاب شديد، فقال: أبو لهب: تبًّا لك لِهَذا دعَوْتَنا جميعا، فأنزل الله عز وجل ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١]. أسباب النزول للنيسابورى ص٣٤٤، والبحر المحيط (٥٢٦/٨، ٥٢٧) – والتحرير والتنوير (٦٠٢/٣٠).

وجوَّز الرازي أن يكون قوله: (تبَّت) وقوله: (وتَبْ) إخبارين بالهلاك، لكن الأول إخبار بهلاك عمله، والثاني إخبار بهلاك نفسه[١]، ويكون التعبير بالماضي في الموضعين لتحقق الوقوع[٢].

واستدل الفراهي علي أن قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أسلوب خبرى:

أ- بالسياق اللغوي الذي يتمثل في قوله تعالي – بعده-:﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢] ، وقوله تعالي ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣] فهما خبران.

قال الفراهى: "ويؤيد كونه خبرا ما جاء بعده من قوله تعالي: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]، وهو خبر لا محالة، وكذلك ما اتصل به من قوله تعالي: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ٢] فإنه نبوة أيضا"[٣]

ب- السياق الخارجي (التاريخي)

قال الفراهي: " قد تبيَّن من جهة التأويل أن السورة نزلت علي سبيل الإخبار كما نزلت السورة السابقة، فالآن نذكر من جهة التاريخ كيف صدقت في أبي لهب هذه النبوة "[٤]

ثم أوضح الفراهى أن قريشا يوم بدر جمعت أحابيشها وأحلافها وقوادها وأشرافها، وجمعت ما استطاعت من عُدَدٍ وعَدَد، ولم يخرج أبو لهب في ذلك اليوم، وبعث مكانه العاص بن هشام ابن المغيرة، وكان له عليه

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازى (١٦٧/٣٢).

(٢) روح المعاني (٣٠/ ٢٦٠)

(٣) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٥٨٨.

(٤) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان – الصفحة نفسها.

أربعة آلاف درهم أفلس بها، فاشتري نفسه بمال لا رجاء له فيه، فرَضِيَ أبولهب بالقعود خوفا علي نفسه، ولكن لم يلبث بعد ما جاءه خبر بدر إلا سبع ليالٍ، ورمي بالعدسة فمات، وتركه ابناه ليلتين أوثلاثا ما دفناه مخافة عدواها حتي أنتن في بيته، وغسلوه قذفا بالماء من بعيد ما يمسونه [١]

ويوضح الفراهي هذا السياق التاريخي بقوله: " انظر كيف صدق فيه أنه عجز عن الانتصار إذ لم يمسك بسيفه وقعد عن الخروج، ثم كيف زاد عجزا علي عجز إذ قُتِلَ أكثر أعوانه .... ثم لم يغنِ عنه ماله وكسبه، إذ رمي بالعدسة.....تركه ابناه وهما كسبه "[٢]

فصار التأويل: " أن كل ما حسبه قوة وعزة من المال والأولاد لم ينفعه "[٣]، وهذا ما أكده الرازي عن الآيات الثلاث بأنها إخبار لا إنشاء، قال: "هذه الآيات تضمنت الإخبار عن الغيب من ثلاثة أوجه، أحدها: الإخبار عنه بالتباب والخسار وقد كان كذلك، وثانيها: الإخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده، وقد كان كذلك، .... وثالثها: الإخبار بأنه من أهل النار، وقد كان كذلك لأنه مات علي الكفر"[٤]

---

(١) السابق ص ٥٨٩ بتصرف.

(٢) السابق ص ٥٩٠.

(٣) السابق ص ٥٩١.

(٤) تفسير الفخر الرازى (٣٢/١٧٠، ١٧١).

المبحث الثالث: السياق وأثره فى تحديد المعني المراد من اللفظ المشترك

أ- قال تعالي: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]

ذهب الفراهي إلي أن لفظة السماء مشترك لفظي يشترك فيه معان متعددة، منها: السحاب، كما في قوله تعالي: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ [هود: ٤٤]، ومنها السماء التي فيها النجوم [١]

التوجيه:

لفظة السماء مشترك لفظي كما أكد الفراهي، وهذا ما أوضحه اللغويون، قال الجوهري: " السَّماءُ: كُلُّ مَا عَلَاكَ فأظَلَّك، ومنه قِيلَ لسَقْفِ البَيْتِ سمَاء، والسَّماءُ: المَطَرُ"[٢]، وقال ابن منظور: " السَّمَاء: سَقْفُ كُلِّ شَيْء وكُلِّ بَيْت...والسَّمَاء: السَّحَاب، والسَّمَاء: المَطَر مذكر، ويُسَمَّي العُشْب – أيضا– سماء؛ لأنه يكون عن السَّماء الذي هو المطر"[٣]

فلفظة السماء تطلق علي سقف كل بيت وكل شيء، وعلي السحاب، والمطر، والعشب.

وهذا ماذهب إليه كثير من المفسرين [٤]

وأكد الفراهي علي أن المراد من السماء في الآية: السَّحاب، قال:" وهوالمراد ههنا وذلك لوجوه:

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص١٢٣ وما بعدها.

(٢) الصحاح (٦/ ٢٣٨٢) مادة (س م و).

(٣) لسان العرب مج ٣ ، ص ٢١٠٧، مادة (س م و)

(٤) ينظر: تفسير الفخر الرازى (١٩٧/٢٨) – والبحر المحيط (٨/ ١٣٣) – وروح المعاني (٢٧/ ٤).

الأول: أن القسم السابق هو بالرياح، والمناسبة بين الرياح والسحاب أظهر، وقد ذكرا معا فى مواضع

الثانى: أن المناسبة بين المقسم عليه والمقسم به تقتضى ذلك....

والثالث: أن الوصف بـــ: ﴿ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ يدل عليه دلالة واضحة، وبيانه أن الحبك هو العقد.... ومنه الإدماج والإحكام فى النسج، ومنه (الحباك)، وجمعه: ﴿الْحُبُك﴾ للطرائق والأسرة التى توجد فى الثوب المحكم النسج وغيره ..... قال الفراء فى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ الحبُك تكسر كلَّ شئ كالرملة إذا مرَّت عليها الريح الساكنة، والماء القائم إذا مرَّت به الريح [١]، وفى حديث الدَّجال: (إن شعره حبك حبك) [٢]، والسحاب يوصف بذلك، فإن الحبك فيه تجعُّد قطعاته مثل الموج المُرَبَّد المتراكم أو كسائب القطن". [٣]

مما سبق، يتضح: أن (السماء) لفظ مشترك، وأكَّد الفراهى علي أن المراد من السماء فى الآية السحاب، واستدل على ذلك بالسياق اللغوى الذى يتمثل فى:

---

(١) ينظر: معانى القرآن للفراء (٣/٨٣) – و لسان العرب مج ١، ص ٧٥٨ مـــادة (ح ب ك) – والصحاح (ح ب ك).

(٢) ينظر: المسند لابن حنبل، ولفظ الحديث فيه: (إن رأس الدجال من ورائـــه حبـــك حبك) (٤/٢٠) – وفى موضع آخر: (إن رأسه من بعده حبك حبك) (٥/٣٧٢) المكتب الإسلامى – بيروت.

(٣) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص١٢٤، ١٢٥.

١- قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١﴾ [الذاريات: ١] فالقسم فى الآية بالرياح، والمناسبة بين الرياح والسحاب أوضح، حيث إن الرياح تعد بمثابة محركات السحب.

٢- قوله تعالى: ﴿ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾ وصف يدل على أن المراد بالسماء هو السحاب، لأن الحبك بمعنى العقد والتكسُّر والتجَعُّد، وهذه الأوصاف موجودة فى السحاب لا فى السماء، فالحبك فيه تجعُّد قطعاته مثل الموج المزبَّد المتراكم.

وذهب بعض العلماء إلى أن المراد بـــ ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ فى الآية: السماء التى فيها النجوم، وقال الزمخشرى: "عن الحسن: حبكها: نجومها، والمعنى: أنها تُزينه كما تزينُ الموشىَّ طرائقُ الوشى، وقيل: حبكها: صفاؤها وإحكامها"(١)، وقال ابن عاشور: "يجوز أن يكون المراد بحبك السماء نجومها؛ لأنها تشبه الطرائق الموشاة فى الثوب المحبوك"(٢)

وذهب الفراهى إلى أنه لا يصح أن يكون المراد من السماء فى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ﴾: السماء التى فيها النجوم، قال: "وما قيل من أن المراد به السماء التى فيها النجوم إما لإحكامها، أو لكونها مجدرة بالكواكب فلا يصح، فإن الحُبُك ههنا ليس بالمصدر، وإنما هو جمع بمعنى الخطوط والتكسُّر والغضون، فلا يكون وصفا لهذا السقف المكوكب لا من جهة إحكامه ولا من جهة نجومه"(٣)

---

(١) الكشاف (٢٧٨/٤) - وينظر البحر المحيط (١٣٣/٨).

(٢) التحرير والتنوير (٣٤١/٢٦).

(٣) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٢٥.

فقد أكد الفراهى على أنه لما كان ﴿ٱلْحُبُكِ﴾ جمعا لا مصدرًا؛ صح أن تكون السماء بمعنى السحاب لا بمعنى السماء التى فيها النجوم

ب- قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ۝٥٩﴾ [الذاريات: ٥٩]

(الذَّنوب) مشترك لفظى، يشترك فيه معان متعددة، قال الفراهى: "(الذَّنوب): الدلو الملأى، ولا يقال لها ذنوب وهى فارغة، ومنها: للحظ والنصيب"(١)

التوجيه:

ذهب الفراهى إلى أن (الذَّنوب) مشترك لفظى، وهذا ما أكده الجوهرى، حيث قال:

" الذَّنُوبُ: الفَرَسُ الطَّويلُ الذَّنَب، والذَّنُوب: النَّصِيب، والذَّنُوب: لَحْمُ أسْفَلِ المَتْنِ.... "(٢)، وقال ابن منظور: " الذَّنُوبُ: لَحْمُ المَتْنِ، وقيل: هُوَ مُنْقَطَعُ الْمَتْنِ وأوَّلُهُ وأسْفَلُهُ، والذَّنُوب: الْحَظُّ والنَّصِيبُ، و الذَّنُوب: الدَّلْوُ فيها ماءٌ، وقيل: الذَّنُوب: الدَّلو التى يكُونُ المَاءُ دُونَ مِلْئِهَا أو قَرِيبٌ مِنْه، وقيل: هى الدَّلوُالمَلْأَى،قَال: ولا يُقَالُ لها وهى فارغَةٌ ذَنُوبٌ"(٣) ،وقيل:" الذَّنُوب: موضِعٌ بعينه".(٤)

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٧٢.

(٢) الصحاح (١/ ١٢٨، ١٢٩) مادة (ذ ن ب).

(٣) لسان العرب، مج ٣، ص ١٥٢٠، مادة (ذ ن ب).

(٤) السابق ص ١٥٢١، المادة نفسها.

وعلى هذا فالذَّنُوب يشترك فيها: الفرس الطويل الذنب، والحظ والنصيب، والدلو التى فيها ماء، والدلو الملأى، ولحم المتن

وأكد الفراهى على أن المراد بالذَّنُوب فى الآية الكريمة: الحظ والنصيب، قال: "والمراد ههنا- والله أعلم- أن لهؤلاء الظالمين حظًّا محدودا من المدة يتمتعون فيها حتى تملأ هذه المدة من جهة الرب مما قدر لهم من الرزق والتَّمَتُّع، ومن جهتهم مما يعملون من سيئات أعمالهم فيحق عليهم العذاب، وما أحسن كلمة (ذَنُوب) دلالة على هذا المعنى، ويبين هذا التأويل ما بعد ذلك، وعليه شواهد كثيرة،فمنها: قوله تعالى:﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا۝٥٨﴾ [الكهف: ٥٨] أي: لهم زمان مؤقت، فالمراد بالذنوب هو الزمان الذى أعطى لهم، فإذا امتلأ بما قَدَّر لهم من التمتع وعملوا ما هم عاملون فيه فكان ذلك ذنوبهم، أى حظهم من الزمان والمهلة"(١)

وكأن لهؤلاء الظالمين زمانا أعطى لهم، إذا امتلأ بما قدر لهم من التمتع، وبأعمالهم السيئة كان ذلك ذنوبهم، وحق عليهم العذاب، وكذا ذهب كثير من المفسرين إلى أن ﴿ذَنُوبًا﴾ فى الآية بمعنى: الحظ والنصيب، قال الزمخشرى:"المعنى: فإن للذين ظلموا رسول اللهﷺ بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظائرهم من القرون... "

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٧٢.

(١) أى من الأمم السابقة التى كذبت الرسل كما كذبوا محمدًا ﷺ. كذا قال أبو حيان والألوسى(٢)

وقال البقاعى: " ﴿ذَنُوبًا﴾ أى: حظا من العذاب طويل الشر، كأنه من طوله صاحب ذنب وهو على ذنوبهم" (٣).

واستدل الفراهى على أن ﴿ذَنُوبًا﴾ فى الآية بمعنى الحظ والنصيب بالسياق اللغوى الذى يتمثل فى:

١- قوله تعالى – بعد الآية -: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٦٠] وهو سياق لغوى جزئى، فقد قيل: "إن هذا اليوم هو يوم بدر؛ لأنه ذنوب من العذاب الدنيوى"(٤)، "وقيل: يوم القيامة الذى يوعدونه"(٥)

٢- قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا﴾ [الكهف: ٥٨] وهو سياق لغوى كلى يؤكد على أن المراد من الذنوب الحظ والنصيب من العذاب، حيث تشير الآية إلى أن لهؤلاء الظالمين موعدا للعذاب متأخرًا، وهذا تهديد بما يحصل لهم يوم بدر" (٦)

---

(١) الكشاف (٢٨٨/٤) – وينظر البحر المحيط (١٤١/٨) – وروح المعانى (٢٤/٢٧).

(٢) ينظر: البحر المحيط (١٤١/٨) – وروح المعانى (٢٤/٢٧).

(٣) نظم الدرر (٤٨٣/١٨).

(٤) روح المعانى (٢٥/٢٧).

(٥) البحر المحيط (٨/ ١٤١).

(٦) التحرير والتنوير (١٥/ ٣٥٧).

ج- قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾ [عبس: ٨]

تتحدث الآية عن سيدنا عبد الله بن أم مكتوم الذي جاء للنبىﷺ ليعلمه أمور دينه.

ذهب الفراهى إلى أن" قوله ﴿يَسۡعَىٰ﴾أريد به المجئ بالشوق على سبيل الكناية، وليس المراد به الإسراع بالقدم لدلالة الموقع، وكما يبينه قوله ﴿وَهُوَ يَخۡشَىٰ﴾ [عبس: ٩] (يخشى) جامع عام لإطلاقه" (١)

التوجيه

السَّعى مصدر (سَعَى يَسْعَى) يشترك فيه معان متعددة، قال ابن منظور: "السَّعْيُ: عَدْوٌ دون الشَّدِّ، سَعَى يَسْعَى سَعْيًا .... وَسَعَى إِذَا مَشّى، وسَعَى: إذا عَمِلَ، وسَعَى: إذا قَصَدَ،.... والسَّعْيُ: الكَسْبُ، وكُلُّ عمل من خير أو شَرٍّ: سَعْيٌ....والسَّعْيُ يكون فى الصلاح و يكون فى الفساد" (٢)

اتضح مما قاله ابن منظورأن (السَّعْى) يحتمل معاني متعددة، منها: العَدْو دون الشد، ومنها المشى، والكسب، والسعى فى الخير أو الشر

أكد الفراهى على أن (يَسْعَى) فى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾ بمعنى المجئ بالشوق إلى المصطفىﷺ، لا الإسراع فى المشى.

بينما ذهب علماء التفسير إلى أن المعنى: السعى فى الخير، قال الزمخشرى: " (يَسْعَى): يُسْرِع فى طلب الخير"(٣)، وأكَّدَه البقاعى، حيث

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٢٧٧.

(٢) لسان العرب مج ٣، ص ٢٠١٩، ٢٠٢٠ ، مادة(س ع ي) – وينظر: الصحاح (٦/ ٢٣٧٧) المادة نفسها.

(٣) الكشاف (٤/٥٤٥).

قال: "مُسْرِعًا رغبة فيما عندك من الخير المُذَكِّر بالله وهو فقير"(١)، كذا قال الرازى وأبو حيان والألوسى (٢)

وذهب ابن عاشور إلى أن "السعى: شدة المشى، كُنِّىَ به عن الحرص على اللقاء"(٣) وكأن ابن عاشور يشير إلى عُلُوِّ همة هذا الرجل وحرصه على مقابلة المصطفىﷺ والتعلم منه

وما قاله المفسرون يحتمل الإسراع فى المشى، لكن الفراهى نفى أن يكون المعنى المراد هو الإسراع فى المشى، وأكد على أن المراد: المجئ بشوق إلى النبىﷺ.

فسيدنا عبد الله ابن أم مكتوم كان ضريرًا، وعادة الضرير يمشى متأنيا خشية التعثر.

وقد وُفِّقَ الفراهى فى التعبير بهذا المعنى، فكأنه يصف حالة سيدنا عبد الله ابن أم مكتوم المعنوية فهو بالفعل يشتاق إلى رؤية المصطفىﷺ رغبة فيما عنده من الخير المذكر بالله، واستدل الفراهى على أن المراد من (يسعى): المجئ بشوق بالسياق اللغوى الذى يتمثل فى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أى: " يخاف الله تعالى، أو يخاف أذى الكفار، أو يخاف التعثر فى الطريق (٤)

---

(١) نظم الدرر (٢٥٥/٣٠).

(٢) ينظر: تفسير الفخر الرازى (٥٨/٣١) – والبحر المحيط (٤١٩/٨) – وروح المعانى (٤١/٢٩).

(٣) التحرير والتنوير (١٠٩/٣٠).

(٤) ينظر: البحر المحيط (٤١٩/٨).

والتعبير بالفعل المضارع فيه دلالة على التجدد والحدوث، وكأنه يَسْعَى فيقف ليستريح ثم يُجَدِّد سعيه وهكذا شوقا إلى سيدنا رسول اللهﷺ، قال ابن عاشور: "اُختير الفعل المضارع لإفادته التجدد"(١).

د- قال تعالى:﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ [التين: ١]

قال الفراهى: "فأما التين فالمراد به موضع خاص عرفته العرب بهذا الاسم لكونه منبت التين(٢)، والعرب يسمون الموضع باسم ما ينبُت فيه كالغضى(٣) والشجرة(٤) والنخلة، وليس ذلك خروجا عن أصل معنى الكلمة، وإنما هو استعمالها فى بعض وجوهها بطريق تسمية الظرف بالمظروف، قال النابغة الذبيانى من بنى غطفان:

وَهَبَّتِ الريحُ من تِلقَاءِ ذِى أُرُلٍ تُزْجِى مَعَ اللَّيْلِ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمَا

صُهْبَ الظِّلَالِ(٥) أَتَيْنَ التِّينَ عَنْ عُرُضٍ يُزْجِينَ غَيْمًا قَلِيلاً مَاؤُهُ شَبِمَا (٦)

---

(١) التحرير والتنوير (١٠٩/٣٠).

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة ص٥٣٢، تحقيق: سيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٥٨م.

(٣) الغضى: الشجر، وقيل: واد بنجد. لسان العرب، مج ٥، ص ٣٢٦٩.

(٤) الشجرة: اسم قرية بفلسطين. معجم البلدان (٣/ ٣٢٥).

(٥) فى لسان العرب، مج ١ ص٤٦٢ : صُهْبُ الشَّمَالِ.

(٦)البيتان من بحر البسيط، وهما في ديوان النابغة الذبيانى ص ٦٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط الثانية – وينظر: المقاييس (٣٤٥/٣) – ولسان العرب (أ ر ل – ت ي ن)، مج ١ ص ٦٥، ٤٦٢ (ص ر م) مج ٤ص ٢٤٣٩.

.....فلا شك أن النابغة أراد بالتين جبلا فى الشمال، ولعله هو الجودى أو قريب منه " [١]

التوجيه

لفظة التين تُطلق على "شجَرَةِ البَلَس، وقيل: هو البَلَسُ نَفْسُهُ، وَاحِدَتُهُ تِينَةٌ"[٢]، وقيل:" التين هذا الذى يُؤْكَل رطبا ويابسا"[٣] ، "قال أبو حنيفة أجناسه كثيرة بَرِّيَّة وريفِيَّة وسُهْلِيَّة وجَبَلِيَّة، وهو كثيرٌ بأرض العَرَب..... والتِّين: جبلٌ بالشَّأم، وقال أبو حنيفة: هو جَبَلٌ فى بلادِ غَطَفَان"[٤] ،وقيل: " التِّين: دمشق، والزيتون: بيتُ المَقْدِس، وقيل: التِّين والزيتون جبلان، وقيل جَبَلَانِ بالشَّأْمِ، وقيل: مسْجِدَان بالشَّام...."[٥] .

فالتين لفظ مشترك يشترك فيه الثمرة التى تؤكل، وشجر البلَس، وجبل في بلاد غطفان أو في الشام ،أو بيتُ المَقْدِس .

واختلف المفسرون فى التين والزيتون أيضا، قال الزمخشرى: "قيل: جبلان من الأرض المقدسة يقال لها بالسِّريانية طور تينا وطور ريتا؛ لأنهما مَنبتا التين والزيتون، وقيل: التين جبال ما بين حُلوان وهمذان، والزيتون جبال الشام لأنها منابتُها، كأنه قيل: ومنابت التين والزيتون"[٦]

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٣٤٤: ٣٤٦ – وينظر: تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة ص٥٣٢.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، (٩/ ٥٢١)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط الأولي،٢٠٠٠م،(ت ن ي)،

(٣) الصحاح (٥/ ٢٠٨٧) مادة (ت ي ن).

(٤) لسان العرب، مج ١ ص٤٦٢، مادة (ت ي ن).

(٥) السابق – الصفحة والمادة نفسهما.

(٦) الكشاف (٤/٦١٠).

وقيل: التين الفاكهة المعروفة، واسم جبل، وقيل: جبلان بالشام، وقيل مسجدان [1]، وقيل: التين: مسجد نوح الذى بنى على الجودى بعد الطوفان، والزيتون: الجبل الذى بنى عليه المسجد الأقصى [2]

وذهب الفراهى إلى أن المراد بالتين والزيتون موضعان، التين: جبل فى الشمال هو الجودى أو قريب منه، والزيتون جبل أطلق اسمه على مَنْبَتِه، واستدل على ذلك:

١- بالسياق اللغوى الذى يتمثل فى قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين: ١-٣] قال: "قرن التين والزيتون بطور سنين والبلد الأمين، فدل بالنظم على كونهما اسمين لموضعين"[3].

فالعطف عليهما بمواضع دليل على كون التين والزيتون موضعين، فقد عطف عليهما طور سنين، والبلد الأمين.

٢- السياق الخارجى (الاجتماعى) الذى يتمثل فى العادات والتقاليد التى كانت سائدة عند العرب، وهذا ما أوضحه الفراهى؛ حيث قال: "لا يخفى عليك أنه كان من عادة العرب التذكر برؤية الديار وآثارها، وكثر ذلك فى كلامهم جدا، فذكر المواضع للتنبيه على ما وقع فيها هو أقرب إلى أذهانهم وأوقع فى نفوسهم، وعلى هذا كثر فى القرآن التذكير بذكر

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازى (٨/٣٢) – ونظم الدرر (١٣٤/٢٢، ١٣٥) – والبحر المحيط (٤٨٥/٨) – وروح المعانى (١٧٣/٣٠، ١٧٤).

(٢) التحرير والتنوير (٤٢١/٣٠).

(٣) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٣٤٣، ٣٤٤.

البلاد، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾ [هود: ١٠٠]" (١)

٣- ما رُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير معنى والتين، قال: "إن المراد به مسجد نوح – عليه السلام- الذي بُنِيَ على الجودى"(٢) وعن عكرمة: التين والزيتون جبلان.

فكأن ذكر التين –المراد به جبل الجودي أوقريب منه – للتنبيه والتذكرة بالأحداث التي حدثت في ذلك المكان ، وكذا الزيتون، وهذا ما أراده الفراهي بقوله: " فذكر المواضع للتنبيه على ما وقع فيها هو أقرب إلى أذهانهم وأوقع فى نفوسهم"، وأوضح ذلك، حيث قال: " اعلم أن التين هو أول موضع لظهور الدينونة علي الإنسان، وذلك بأن آدم – عليه السلام- لما نَسيَ عهد الرب، وسمع لقول حاسده، وقعت عليه وعلي زوجه الدينونة فأهبطا بعد الرفعة، وسلبا لباس الجنة، كما قال تعالي:﴿ وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِ ﴾ [الأعراف: ٢٢] وجعل الله تعالي ذلك الأمر تذكارا وموعظة لنسله، فقال :﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾ [الأعراف: ٢٧].....وكذلك وقعت الدينونة علي نسله في عهد نوح- عليه السلام- عند جبل التين، فَأُهۡلِكَ الظَّالِمُون وبُورِك الباقون، كما قال تعالي:﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] ثم بعد ذكر دعاء نوح- عليه السلام- قال

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٣٤٤.

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٢٣٩)

تعالي:﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨﴾ [هود: ٤٨] أى: جعلنا السلام والبركات لك وللمؤمنين معك، وأما الآخرون فلهم أيضا متاع من الدنيا قليل ثم عذاب أليم، فصار التين آية وتذكرة لما وقع علي الإنسان من الدينونة وقضاء الرب تعالي "(١).

وذهب الفراهي إلي أن المراد بالزيتون هو جبل الزيتون الذي سَهِرَ عليه سَيِّدُنا عيسي- عليه السلام- يناجي ربه إلي السَّحَر، حيث يَئِسَ من قومه فَحَزِنَ غاية الحزن لَمَّا علِمَ أن اليهود يهمون بقتله، وبذلك يُلْعَنُون ويُسْلَبُون الأمانة، فتُعْطَي لأمة جديرة بها (٢)

"فقد رُوِيَ عن ابن عباس – رضي الله عنه، وعن كعب أن الزيتون : بيت المقدس، وعن قتادة: أنه الجبل الذي عليه بيت المقدس"(٣)

ثم أوضح الفراهي أن ذكر تلك المواضع للتنبيه والتذكير علي ماوقع فيها من أحداث، قال "وجملة ما أردنا .....أن الله تعالي ذكر هذه المواضع لكونها مشاهد لدينونة الإنسان في الدنيا وجزائه إياهم حسب أعمالهم؛ ليبين لهم أن ربهم لم يخلقهم سُدًي، ولم يغفل عن أحوالهم، فأنزل إليهم الكتاب والذكري، وأكثر لهم من النُّذُر والبشري.... " (٤)

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص٣٤٩، ٣٥٠.

(٢) السابق ص٣٥٠.

(٣) تفسير الطبري (٣٠/ ١٥٣، ١٥٤).

(٤) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٣٦١.

المبحث الرابع: السياق وأثره في تعيين المخاطَب

ذهب الفراهي إلي أن تعيين المخاطب" طرف من علم توجيه القول العام إلي جهته الخاصة، ومن لم يعلم جهة الكلام لايصيب تأويله الصحيح، فكان ذلك مفتاحا لفهم التأويل ونظم الحديث... " [(١)]، ثم أوضح أن للخطاب جهتين ممن؟ وإلي من؟ وكلتاهما ربما تعم والمراد خاص، وربما يعكس الأمر[(٢)]، ويشير الفراهي إلي أن الخطاب قد يحتمل وجوها، فيندرج تحت ما يسمي بالمشترك في هذه الحالة، قال:" فاعلم أن الخطاب إذا احتمل وجوها كان كاللفظ المشترك، فلا بد من أخذ بعضها وترك البواقي، وصنعنا في المشترك أن نعلم أولًا معانيه كلها ثم نرجع إلي سوق الكلام وغايته، فنأخذ بعض المعاني المُحْتَمَلَة ونترك البواقي"[(٣)] يتضح مما قاله الفراهي: أن الخطاب إذا احتمل أكثر من وجه يكون من قبيل المشترك الأسلوبي ، ثم يأتي السياق ليحدد المعني المراد.

وذكر عدة أمثلة من سورتي التوبة والإسراء في سياق حديثه في مقدمته، وهي كالتالي:

١- **قال تعالي**: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٥٠]

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٦٤.

(٢) السابق – الصفحة نفسها.

(٣) السابق ص ٦٥.

قال الفراهي:" فربما يخاطب الله النبي ووجه الخطاب إلي الأمة، فإن النبي ﷺ هو وكيل من الأمة إلي الله، فهو لسانهم وسمعهم....و نعلم من سياق نظم القرآن من هو المخاطب"(١)

التوجيه:

أوضح الفراهي أن الخطاب في قوله تعالي: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ ﴾ يحتمل أن يكون خطابا للنبي ﷺ، ويحتمل أن يكون للمؤمنين، ولكن الخطاب هنا للمؤمنين، ويدل علي ذلك: السياق اللغوي الذي يتمثل في قوله تعالي – في الآية اللاحقة –:﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴿٥١﴾﴾ [التوبة: ٥١]

قال الفراهي: " في سورة التوبة: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾ معناها: إن تُصِب المؤمنين كما صرح في الجواب: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴿٥١﴾﴾"(٢)

٢- **قال تعالي**: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٣]

ذهب الفراهي إلي أن الخطاب في قوله : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) يحتمل أن يكون للنبي ﷺ، ويحتمل أن يكون للمؤمنين، ولكن الخطاب هنا للمؤمنين، قال الفراهي: " خاطب النبي الكريم ﷺ، والخطاب إلي الأمة، فقوله: ﴿ إِمَّا

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان – الصفحة نفسها.

(٢) السابق ص ٦٦.

يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾[الإسراء: ٢٣] وغير ذلك خطاب عام"[١]

بمعني أن كل واحد يصلح للخطاب، فمن يقرأ القرآن يشعر وكأنه يُخَاطَب بذلك.

وقال في هذا الموضع أيضا: " لا يمكن القول فيه بأن الخطاب للنبي ﷺ فإن في نفس تلك الجملة ما يمنع عنه، فإن فيها قوله تعالي: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣] فهذا المثال حاسم الشكوك"[٢]

التوجيه:

يشير الفراهي إلي أن الخطاب في قوله: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) يحتمل أن يكون للنبي ﷺ، ويحتمل أن يكون للأمة، ولكن السياق اللغوي الذي يتمثل في قوله تعالي: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ يعيِّن الخطاب أنه للأمة؛ لأن النبي ﷺ لم يكن له أبوان يومئذ.

وإلي مثل هذا ذهب كثير من العلماء[٣]

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٦٧.

(٢) السابق ص ٤٢٣، ٤٢٤.

(٣) ينظر: تفسير الفخر الرازى (٥٨/٣١) – ونظم الدرر (١١/ ٤٠٠) وما بعدها– والبحر المحيط (٦/ ٢٣) – والتحرير والتنوير (٦٨/١٥).

٣- قال تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ۝١﴾ [الفيل: ١]

أكد الفراهى على أن تعيين المخاطب طريق لمعرفة التأويل الصحيح، قال:" قبل النظر فى عمود السورة وربطها لابد من تعيين المخاطب بهذه السورة ليتمهد السبيل إلى معرفة صحيح التأويل وربط المعنى..." (١)

وأوضح أن المخاطب بقوله:﴿أَلَمۡ تَرَ﴾: جميع من رأى هذه الواقعة أو أيقن بها من طريق تواتر الحكاية، قال: "اعلم أن الخطاب ههنا متوجه إلى جميع من رأى هذه الواقعة، أو أيقن بها من طريق تواتر الحكاية ممن رآها وهذا أسلوب خاص يطلق الواحد فيه على الجميع على سبيل الانفراد، وله أمثلة فى كلام العرب والقرآن..... قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [لقمان: ٣١] فبدأ بالواحد وأعقبه الجمع فإن المراد من الواحد كان هو الجمع.... وربما يبدأ بالجمع ثم يعقب بالواحد فإن المراد هو الجمع، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا﴾ [البقرة: ١٠٤] حتى قال: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ۝١٠٦ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ۝١٠٧﴾ [البقرة: ١٠٦-١٠٧]" (٢)

التوجيه:

اختلف العلماء فى المخاطَب بقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ۝١﴾ [الفيل: ١] وقد أكد الفراهى على أن المخاطَب جميع

(١) نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٤٢٢.

(٢) السابق ص ٤٢٢، ٤٢٣.

من رأى هذه الواقعة أو أيقن بها من طريق تواتر الحكاية ممن رآها، بينما ذهب كثير من العلماء إلى أن المخاطَب بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هو النبىﷺ بدلالة قوله: ربك،[1] قال ابن عاشور: "والخطاب للنبىﷺ كما يقتضيه قوله: ربك"[2]

واستدل الفراهى على أن المخاطَب بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ هو جميع من شهد هذه الواقعة، أو أيقن بها عن طريق تواتر الحكاية ممن رآها بالسياق:

①- اللغوى الذى يتمثل فى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ فهى صيغة تأتى لعموم الخطاب، ولا يقصد بها واحد بعينه، بل كل واحد صالح للخطاب، قال الفراهي: " كلمة ﴿أَلَمْ تَرَ ﴾ تجيء عموما لعموم الخطاب، فصرفها إلي الخصوص من غير قرينة خلاف سننها، بل القرينة الظاهرة أن الذين رأو هذه الواقعة أولي بالخطاب، وكثر في القرآن استعمال المخاطب الواحد للجميع "[3]

(١) ينظر: تفسير الفخر الرازى (٣٢/ ٩٨)- والبحر المحيط(٥١١/٨)- ونظم الدرر(٢٢/ ٢٥٠، ٢٥١).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٤٥)

(٣) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٤٢٣.

٢-السياق الخارجي (التاريخي والاجتماعي)

الذى يتمثل فى شهرة واقعة أصحاب الفيل، وذيوع صيتها فى المجتمع فى ذلك العصر، فضلا عن شهرتها وذيوع صيتها فى مجتمع أهل مكة وذلك لتعلقها بأمر مقدس عند العرب، قال الفراهى: "إن جمهور العرب تعظم الكعبة"(١) وهذا جزء من الثقافة، وذكرها الشعراء كثيرا فى أشعارهم؛ لذا لم يفصل القرآن فيها، قال الفراهي: "اعلم أن القرآن لم يُفصل في قصة أصحاب الفيل.... لأن الواقعة كانت علي غاية الاشتهار حتي إن العرب اتخذتها مبدأ تاريخهم، وذكروها في أشعارهم.... والسكوت عن التفصيل أبلغ بيانا لدلالته علي غاية الشهرة، وإصدار الكلام بقوله: " ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ يُناسِب هذا الأمر فإنه لا يخاطب به إلا فيما لا يخفي علي أحد، كأنه رآه كل من يخاطب به وإن لم يره بعينه، وهكذا ينبغي عند طلب الإقرار بشىء كما هو معلوم عند أهل العربية"(٢)

وهذا يعني أنه لما كانت الواقعة مشهورة عند الجميع، ناسب الخطاب بقوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ للعموم؛ فكأن عموم الخطاب لعموم القصة وشهرتها، لأن واقعة أصحاب الفيل لا تخفي علي أحد، وقد وُفِّق الفراهي في توضيح المُخَاطَب فى هذه الآية، وانفرد به دون غيره من العلماء.

وقد ذكرالشعراء واقعة الفيل كثيرا فى أشعارهم، من ذلك ما قاله نفيل ابن حبيب الخثعمى وهو جاهلى، شهد الواقعة:

---

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٤٤١.

(٢) السابق ص ٤٣٨.

أَلَا رُدِّى جِمَالَكِ يَا رُدَيْنَا نَعِمْنَا كُمْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا
فَإِنَّكِ لَوْ رَأَيْتِ وَلَنْ تَرَيْهِ إلى[1] جَنْبِ المُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا
أَكُلُّ النَّاسِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا
حَمِدْتُ اللهَ إذ[2] عَايَنْتُ طَيْرًا وحَصْبَ حِجَارَةٍ تُلْقَى عَلَيْنَا [3]

وقال أيضا صَيْفِيٌّ بنُ عَامِرٍ وهو أبو قيس ابن الأسلت وهو جاهلى من أهل يثرب:

قُومُوا فَصلُّوا رَبَّكُمْ وَتَعَوَّذُوا بِأَرْكَانِ هَذَا البَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ
فعندكمُ منْهُ بَلَاءٌ مُصَدَّقٌ غَدَاةَ أَبِى يَكْسُومَ هَادِى الْكَتَائِبِ
فَلَمَّا أَجَازُوا بَطْنَ نُعْمَانَ رَدَّهُمْ جُنُودُ الْإِلَهِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ[4]

إلا أننا رأيناه يذهب مذهبا آخر، فيري أن الخطاب لأهل مكة، بعد أن ذهب إلي أنه خطاب عام، قال:" ظاهر هذه السورة يدل علي حماية مكة وأهلها عن عدوهم، والاستفهام ههنا ليس إلا للردع والتنبيه كما هو ظاهر، وذلك لا بد أن يُصرف إلي من ظهر منه تغافل عما استفهم، فينبه علي ما علم....فكيف يصرف الخطاب إلي النبيﷺ ، وليس في السورة

(١) في الحيوان: (لدي جنب) كتاب الحيوان، الجاحظ (٧/ ١٩٩)، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، ط الثانية، ١٩٦٨م،– وسيرة ابن هشام (٤٩/١، ٥٠).

(٢) في الحيوان : إنْ (٧/ ١٩٩) – وسيرة ابن هشام (٤٩/١، ٥٠).

(٣) الأبيات من بحر الوافر، وهما في الحيوان (٧/ ١٩٩) – وسيرة ابن هشام (٤٩/١، ٥٠).

(٤)الأبيات من بحرالطويل، وهما في الحيوان (٧/ ١٩٧) – وسيرة ابن هشام (٤٩/١، ٥٠).

شيء يدل علي علي تغافل منه أو أمر يقتضي تنبيهه، وأما أهل مكة فإنهم بشركهم وصدهم المسلمين عن الصلاة، أظهروا أنهم غير شاكرين لربهم.....فهؤلاء المشركون أولي بأن يُنَبَّهوا علي ما غُفِلوا عنه" (١)

ففي سياق ردِّه على من صرح بأن المخاطَب هو النبىﷺ، ذهب إلى أن المخاطَب هم أفراد أهل مكة، قال: "إن السورة ليست بخطاب إلي النبىﷺ، إنما أنزلت ليخاطِب بها النبىﷺ قُرَيْشا كلها على سبيل الانفراد، وفى اختيار صيغة الواحد دلالة على أن كل أمرئ منهم يجب عليه أن يشكر ربه ويذكره ويخافه كما يخاف العبد مولاه المنعم فيعبده....فإذا تبين ذلك فلابد من صرف كاف الخطاب في (ربك) إلي ذلك المخاطب" (٢) وكأن المعني : قل لهم يا محمد.

وأري أن الأولي هو ماذهب إليه الفراهي من القول بعموم الخطاب في قوله: (ألم تر)، فهو صالح لأن يُخَاطَب به كل إنسان في كل زمان ومكان، لاسيما وأن هذه الواقعة لا تخفي علي أحد.

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ٤٢٤.

(٢) السابق ص ٤٢٥.

المبحث الخامس: السياق وأثره في تخصيص المعني العام

- قال تعالى: ﴿..... إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴿١٦﴾﴾ [الذاريات: ١٦]

هذه الجملة بمثابة التعليل لجملة (﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الذاريات: ١٥]، أى: كان ذلك جزاء لهم عن إحسانهم[١] أى: أحسنوا أعمالهم [٢]، أو أنهم "أخذوها وملكوها بالإحسان"[٣] وذهب البقاعى إلى أنهم أحسنوا "فى معاملة الخالق والخلائق يعبدون الله كأنهم يرونه"[٤]، أو أنهم أتو بأعمالهم الصالحة"على ما ينبغى، فلذلك استحقوا ما استحقوا من الفوز العظيم"[٥]، وذهب ابن عاشور إلى أنهم"كانو فى الدنيا مطيعين لله تعالى واثقين بوعده ولم يروه"[٦]

وذهب الفراهى إلى أن قوله تعالى:"﴿مُحْسِنِينَ﴾ عام، وأظهر فى الصلاة والزكاة؛ لكونها أولى وأهم، ولما صرح بكونهما علامة فارقة، ولما بين ذلك بما أتبع من أوصافهم من قلة الهجوع والجود"[٧]

التوجيه:

يتضح من كلام الفراهى أن قوله تعالى: ﴿مُحۡسِنِينَ﴾ يشمل كل أنواع الإحسان فى الأعمال، ولكن المراد من ﴿مُحۡسِنِينَ﴾ هنا: من أحسنوا فى

---

(١) التحرير والتنوير (٣٤٨/٢٦).

(٢) الكشاف (٢٨٠/٤).

(٣) تفسير الفخر الرازى (٢٠١/٢٨).

(٤) نظم الدرر (٤٥٥/١٨).

(٥) روح المعانى (٧/٢٧).

(٦) التحرير والتنوير (٣٤٨/٢٦).

(٧) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان ص ١٣١.

الصلاة والزكاة، ويؤكد ذلك السياق اللغوى الذى يتمثل فى ذكر أوصافهم المتعلقة بالصلاة والزكاة بعد الآية، هذا السياق اللغوي يتمثل في:

١- قوله تعالي:﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴾ [الذاريات: ١٧]

الهجوع هو النوم، أي: يشتغلون في الليل بالصلاة والذكر، وكما قال تعالي: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦]

٢-: قوله تعالي ﴿وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾ [الذاريات: ١٨] كما جاء في وصف المتقين:

﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡمُنفِقِينَ وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧] (١)

فالاشتغال في الليل بالصلاة والذكر، والاستغفار في الأسحار خاصة توضيح لإحسانهم.

٣- قوله تعالى:﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ١٩﴾ [الذاريات: ١٩]

قال البقاعى "لما ذكرمعاملتهم للخالق،أتبعه المعاملة للخلائق تكميلا لحقيقة الإحسان، فقال: "﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ أى كل أصنافها﴿ حَقّٞ ﴾ أى: نصيب ثابت"(٢)

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان – ص ١٣١.

(٢) نظم الدرر (٤٥٦/١٨).

قيل : "هذا الحق هو الزكاة المفروضة،وضعف بأن السورة مكية، وفرض الزكاة بالمدينة" [1]، وقيل: "نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقربا إلى الله عز وجل وإشفاقا على الناس فهو غير الزكاة"[2]

(١) البحر المحيط (١٣٥/٨).

(٢) روح المعانى (٩/٢٧).

النتائج

بعد هذه المعايشة الطيبة مع كتاب من كتب التفسير لكلام الله عز وجل، ومحاولة توضيح أثر السياق في فهم المعني، خلص البحث إلى النتائج التالية:

١- اعتمد الفراهى منهجا معينا فى تفسيره للقرآن هو تفسير القرآن بالقرآن ثم ما جاء عن النبىﷺ وأصحابه

٢- اعتبر مراعاة السياق فى فهم المراد من كلام الله عز وجل المنهج الأمثل فى التفسير وضابطا من الضوابط المهمة فى التأويل.

٣- اعتمد فى تفسيره للقرآن الكريم على السياق بنوعيه اللغوى والخارجى.

٤- تمثل السياق اللغوي في تفسير القرآن بالقرآن، والسياق غير اللغوي(الخارجي) في تفسير القرآن بالحديث الشريف، وأقوال الصحابة، وأسباب النزول ، وعادات العرب، وكلامهم خاصة الشعر الجاهلى.

٥- اعتمد الفراهى فى فهم المعني المراد على السياق الاجتماعى الذي يتمثل فى العادات والتقاليد التى كانت موجودة عند العرب كذكر المواضع للتنبيه على ما وقع فيها.

٦-.- جاء اهتمامه بالسياق اللغوى بصورة كبيرة وهذا يوافق أساس منهجه (تأويل الفرقان بالفرقان).

٧- وضع الفراهى معيارًا معينا فى الأخذ عن كتب أهل الكتاب يتمثل فى ترك كل ما خالف القرآن الكريم.

٨- - كان فى بعض الأحيان يجوز احتمالية أكثر من معنى طالما أنه لا توجد قرينة تحدد المعنى المراد.

٩- التزم الفراهى اللغة العربية الفصحى فى تفسيره رغم أنه أعجمي، وخير مثال على ذلك فاتحة تفسير نظام القرآن.

١٠- لم يهتم بدراسة الصوت داخل سياقه، ولم يبين أثره في توضيح المعني، ووقع جُل اهتمامه على التركيب وعلاقات الكلمات ووظائفها.

١١- لعب السياق دورًا مهما فى توضيح المعنى المراد من الصيغ.

١٢- نحا الفراهى مَنْحَى علماء التوجيه فى الاحتجاج للقراءات مع الاستدلال بالسياق.

١٣- كان للسياق دورٌ كبير فى توضيح المراد من التركيب.

١٤- للسياق دور مهم فى تحديد المراد من أدوات المعانى.

١٥- ذهب الفراهى إلى أن الفعل (صغا) ومصدره (الصغو) من المعانى التى تندرج تحت الميل، ومعناه الميل إلى الشئ.

١٦- لعب السياق دورًا مهما فى تحديد المراد من الأسلوب الإنشائى (الاستفهام - الدعاء).

١٧- لعب السياق دورًا مهما فى تحديد المراد من المشترك اللفظى، والمشترك الأسلوبى..

١٨- ذهب الفراهى إلى أن المخَاطَب بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ۝١﴾ [الفيل: ١] جميع من رأى الواقعة أو أيقن بها من طريق تواتر الحكاية ممن رآها خلافًا للعلماء.

١٩- كان للسياق دورٌ مهم فى فى تعيين المُخَاطَب، وتخصيص المعنى العام في تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان.

٢٠- كانت للفراهى انفرادات موفقة فى توضيح أثر السياق فى فهم كلام الله عز وجل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

المراجع والمصادر

١ إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر: البنا الدمياطى، وضع حواشيه: الشيخ: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠١م.

٢ أثر السياق في فهم النص القرآني، د. عبد الرحمن بو درع، مجلة الإحياء- المملكة المغربية، ع ٢٥، يوليو ٢٠٠٧م.

٣ أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط الأولي، ١٤١٩ه – ١٩٩٨م.

٤ أسباب النزول: النيسابورى، عالم الكتب، بيروت – لبنان.

٥ إعراب القرآن وبيانه: محى الدين درويش، دار ابن كثير- بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

٦ الإمام حميد الدين الفراهى حياته، وأعماله، الشيخ أمين أحسن الإصلاحى، ص١١-١٥ ، ترجمة محمود عاصم، مجلة الهند(عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهى)، مج٦، أعداد من ١-٤.

٧ الإمام حميد الدين الفراهى، للشيخ: شير محمد الإصلاحى الندوى ص٤١، مجلة الهند، عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهى، مج ٦، ع٥، ٢٠١٧م.

٨ الإمام عبد الحميد الفراهى وتلاميذه البارزون، د. أشفاق ظفر الإصلاحى، مجلة الهند، عدد خاص عن حياة وأعمال الإمام عبد الحميد الفراهى، مج ٦، ع٥، ٢٠١٧م.

٩ الإمام عبد الحميد الفراهي وجهوده فى التفسير وعلوم القرآن، د. محمد فريد راوى، دار الشاكر، سلانجور – ماليزيا، ط الأولى ٢٠١٥م.

١٠ الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، د. محمد يوسف الشريحي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، مج ٢٠، ع ٢، ٢٠٠٤م.

١١ إمعان فى أقسام القرآن، عبد الحميد الفراهي، تحقيق سليمان الندوى.

١٢ أنيس الجلساء فى شرح ديوان الخنساء، ضبطه وصححه الأب لويس شيخو

اليسوعى، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين –بيروت، ١٨٩٦م.
١٣ البحر المحيط فى أصول الفقه للزركشى، مراجعة عبد القادر عبد الله العـانى، دار الصفوة للطبع والنشر والتوزيع، ط الثانية،١٩٩٢.
١٤ البحر المحيط: أبو حيان، تحقيق: الشيخ. عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.
١٥ بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق على بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.د.ت.
١٦ التحرير والتنوير: ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.
١٧ تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.
١٨ تفسير الطبرى– جامع البيان عن تأويل آى القرآن: الطبرى، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية– القاهرة، د.ت.
١٩ تفسير غريب القرآن، ابن قتيبة ص٥٣٢، تحقيق: سيد أحمد صقر، القاهرة، ١٩٥٨م
٢٠ .تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب: الإمام الرازى، دار الفكر، ط١، ١٩٨١م.
٢١ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مكتبة الصفا، ط الأولى،٢٠٠٤م.
٢٢ تفسير نظام القرآن وتأويل القرآن بالقرآن، تأليف الإمام عبد الحميد الفراهى، الدائرة الحميدية مدرسة الإصلاح سرائ مير– أعظم كره يو بى– الهند، ط الأولى،٢٠٠٨.
٢٣ الجامع لأحكام القرآن: القرطبى، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركى، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٦م.
٢٤ حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك، دار إحياءالكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاه– مصر.
٢٥ حجة القراءات، الإمام أبو زرعة عبد الرحمن بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغانى، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة ١٩٨٢م، ١٤٠٢هـ.

٢٦ الحجة فى القراءات السبع، ابن خالوية، تحقيق د.عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ط الرابعة١٩٨١م، ١٤٠١هـ.

٢٧ حركة التعليم الإسلامى فى الهند وتطور المنهج، محمد واضح رشيد الحسن الندوى، ط الأولى، المجمع الإسلامى العلمى- لكنؤ، ١٤٢٧ه – ٢٠٠٦م.

٢٨ حروف المعانى، أبو القاسم بن إسحاق الزجاجى، تحقيق د.على توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة- دار الأمل.

٢٩ دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، د. عبد الفتاح البركاوي، دار المنار – القاهرة، ط الأولى، ١٤١١ه، ١٩٩١م.

٣٠ دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب أبو صفية الحارثى، ط الأولى، عمان- الأردن، ١٩٨٩م.

٣١ دلالة السياق، د. ردة الله الطلخي، رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية جامعة أم القرى، ١٤١٨ ه.

٣٢ دور الكلمة فى اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة، وتقديم وتعليق: د. كمال محمد بشر، مكتبة الشباب – المنيرة، ١٩٧٥م.

٣٣ ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن أوس الطائى، تحقيق عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، الجزء الأول، جامعة الإمام- المجلس العلمى١٤، ١٩٨١.

٣٤ ديوان عدي بن زيد العبادى، تحقيق محمد جبار المعيْبد، وزارة الثقافة والإرشاد، شركة دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥

٣٥ .ديوان النابغة الذبيانى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط الثانية.

٣٦ الرسالة للإمام الشافعى، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط الأولى، ١٩٣٨م.

٣٧ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى: الألوسى البغدادى، دار إحياء التراث العربى، بيروت – لبنان.

٣٨ السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، د. خليل خلف بشير العامري،

مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج ٩، ع ٢، ٢٠١٠م.
٣٩ السياق عند الأصوليين – المصطلح والمفهوم، د. فاطمة بو سلامة، مجلة الإحياء، ع٢٥، يوليو٢٠٠٧م.
٤٠ السياق غير اللغوي في النص القرآني، خليل خلف العامري ص ١٢٩٥، مجلة جامعة بابل، العلوم الإسلامية، مج ١٥، ع ٤، ٢٠٠٨.
٤١ شرح شذور الذهب فى معرفة كلام العرب: ابن هشام الأنصارى، المكتبة العصرية- بيروت، ١٩٨٨.
٤٢ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): الجوهرى، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط الرابعة، ١٩٩٠م.
٤٣ علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، د. عبد الفتاح أبو الفتوح، د.ت.
٤٤ علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط الخامسة، ١٩٩٨م.
٤٥ علم اللسانيات الحديثة، د. عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء للنشر- عمان، ط ٢٠٠٨.
٤٦ علم اللغة الاجتماعي لهدسون، ترجمة محمد عبد الغني عياد، دار الشئون الثقافية – بغداد، ١٩٨٧م.
٤٧ علم اللغة مقدمة للقارئ العربى: د. محمود السعران، دار النهضة العربية – مصر.
٤٨ العين: الخليل بن أحمد، تحقيق: د. مهدى المخزومى، وإبراهيم السامرائى، سلسلة المعاجم والفهارس.
٤٩ فتح البارى بشرح صحيح البخارى، الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المطبعة السلفية- القاهرة، ١٤٠٧هـ.
٥٠ كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفي البابي الحلبي، ط الثانية، ١٩٦٨م
٥١ الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
٥٢ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: الزمخشرى،

شرح وضبط: يوسف الحمادى، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر، د.ت.

٥٣ الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، أبو محمد مكي بن أبى طالب القبسى، (٢٨٩/٢) تحقيق د. محى الدين رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤م، ١٣٩٤هـ.

٥٤ الكلمة دراسة دلالية ومعجمية، د. حلمي خليل، الهيئة العامة للكتاب- فرع الاسكندرية، ١٩٨٠.

٥٥ لسان العرب: ابن منظور، دار المعارف – القاهرة.

٥٦ مبادئ اللسانيات، د. أحمد محمد قدور، دار الفكر- دمشق، ط الثالثة،٢٠٠٨م.

٥٧ مختصر فى شواذ القراءات: ابن خالويه، عنى بنشره: برجشتراسر، مكتبة المتنبى – القاهرة.

٥٨ المسلمون فى الهند (الدور الذى قام به المسلمون فى تحرير الهند)، أبو الحسن على الحسنى الندوى، دار ابن كثير، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م.

٥٩ المشترك الأسلوبي في الخبر والاستخبار فى ضوء ما ورد في القرآن – دراسة تحليلية" سوسن حسانين الهدهد، مخطوط في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، فرع البنات بالقاهرة- جامعة الأزهر،٢٠٠٩م.

٦٠ معانى الحروف للرمانى، تحقيق الشيخ عرفان بن سليم العسا، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ط الأولى، ٢٠٠٥.

٦١ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط الرابعة، ٢٠٠٤م.

٦٢ مغنى اللبيب، جمال الدين بن هشام الأنصارى، مطبعة مصطفى محمد – مصر، ١٣٥٦ه.

٦٣ مفردات القرآن (نظرات جديدة فى تفسير ألفاظ قرآنية)، تأليف الإمام حميد الدين الفراهى، تحقيق د. أحمد أجمل أيوب الإصلاحى دار الغرب الإسلامى، ط الأولى، ٢٠٠٢م.

٦٤ مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر

للطباعة والنشر، د.ت.

٦٥ النشر فى القراءات العشر، ابن الجزرى مراجعة الشيخ على محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

٦٦ نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور: البقاعى، دار الكتاب الإسلامى – القاهرة، د.ت.